



حماية

النبى المصطفى
صل الله عليه وسلم

لجناب التوحيد

الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد الصباغ

حماية النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم لجناب التوحيد

كتبه الفقير المعفوره الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ



حقوق الطبع مبدولة لعموم المسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.

جميعُ الأنبياءِ والرسلِ الذين أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ لَخَلْقِهِ جَاؤُوا بِالْدَعْوَةِ



إلى توحيد الله؛ بإفراده بالعبادة وإخلاصها له وحده سبحانه، وما من نبي إلا قال لقومه: {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٥٩]، وجاء بـ (لا إله إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا الله.

وأول رسول أرسله الله لأهل الأرض منذ خلق الله آدم وذريته هو نبي الله نوح عليه السلام، أرسله الله حينما ظهر الشرك، وكان سبب ظهور الشرك الغلو في الصالحين في: (ود، وسواع، ويعقوب، ويعوق، ونسر)، فأرسل الله نوحًا للدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، فأمن معه عدد قليل، وهم الذين نجوا؛ لأنه لا ينجو إلا الموحدون، وكفر بقية قومه، وأصروا على شركهم فهلكوا بالطوفان؛ لأنَّ الشرك مهلكة لصاحبه في الدنيا والقبر والآخرة، يُحْبِطُ الأعمال، ويخْلُدُ في النار، كما قال سبحانه: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ



مِنْ أَنْصَارِ ﴿٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

وبالتوحيد أرسلَ اللهُ جميعَ الرسلِ حتى نبينا محمداً ﷺ قال للناس: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَفْلِحُوا»^(١). فاستغربوا وقالوا: {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ} ﴿٥﴾ [ص: ٥].

فظلَّ في مكة ثلاثةَ عشرَ عاماً يدعو إلى التوحيد، ويرسخُ أصولَه ومبادئه، حتى هاجرَ إلى المدينة، فشرَّعت فيها الشرائعُ بجانب الدعوةِ إلى التوحيد وإفرادِ الله بالعبادة وإخلاصها لله وحده لا شريكَ له.

وقد قام النبي ﷺ بما أمره ربه بحماية جنابِ التوحيد، وبيان ذلك في أربعةٍ محاور:

الأول: الدعوةُ إلى التوحيد وبيان فضائله وأقسامه.

الثاني: النهي عن الشرك وبيان أضراره ومظاهره.

^(١) أخرجه أحمد (١٦٠٢٣).



الثالث: النهي عن الغلو في شخصه الكريم ﷺ في حياته وبعد مماته.

الرابع: سد كل ذريعة تؤدي إلى الشرك.

وهذا ما نسعى لتوضيحه وبيانه بمشيئة الله تعالى ومعونته وفضله وجوده وإحسانه وكرمه، وأسأل الله تعالى أن يجعلنا من الموحدين المخلصين المستمسكين بدينه، المقبولين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون!

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المبحث الأول

دعوة النبي محمد إلى التوحيد

النبي محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل، وجميع الأنبياء والرسل جاؤوا بدين واحد؛ ألا وهو دين الإسلام، قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩].

وقال الله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥]، وقال النبي ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»^(١).

والإخوة لعلات: هم الإخوة من أب واحد، وأمهم شتى، فالأنبياء كالإخوة من أب واحد، أصلهم واحد - ألا وهو التوحيد - دينهم واحد - وهو الإسلام - وأما فروع الشرائع فقد تختلف من أمة لأمة، ومن زمن لزمن حسب حكمة الله.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٩)، ومسلم (٢٣٦٥).



وجميع الرسل والأنبياء ما جاؤوا إلا بالدعوة إلى توحيد الله؛ أي: إفراده وحده بالعبادة، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]، وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، فالإسلام دين الأنبياء والتوحيد دعوة الرسل.

قال الله تعالى عن دعوة نوح لقومه: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون: ٢٣].

وقال هود لقومه: {وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [الأعراف: ٦٥].

وقال صالح لقومه: {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٧٣]. وقال شعيب لقومه: {أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٨٥].



ورسولنا محمد ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل، وإنما جاء بما جاء به مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَقْلِحُوا»^(١).

وقال ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٢)؛ أي: أَمَرْتُ بِالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ؛ لِإِخْرَاجِ النَّاسِ مِنْ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ وَالْبَدْعِ وَالْمَعَاصِي إِلَى نُورِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَالطَّاعَةِ، فَمَنْ كَذَّبَ وَعَانَدَ وَحَارَبَ هَذِهِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِقِتَالِهِ؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).



وبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١).

ودعا النَّاسَ إِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ، وَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا هُوَ مَعْنَى التَّوْحِيدِ وَصُلْبُهُ؛ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣٣﴾} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

وقال: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾} [البينة: ٥].
وقال: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾} [الزمر: ١١-١٢].

وبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ عَمَلًا صَالِحًا إِلَّا إِذَا كَانَ لِلَّهِ خَالصًا، وَذَلِكَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٠١﴾} [الكهف: ١١٠].

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).



وقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِيَ شَرِيكًا فَهُوَ لِشَرِيكِي يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَخْلِصُوا أَعْمَالَكُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ إِلَّا مَا أُخْلِصَ لَهُ، وَلَا تَقُولُوا: هَذَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ، فَإِنَّهَا لِلرَّحِمِ وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا تَقُولُوا: هَذَا لِلَّهِ وَلُجُوهِكُمْ، فَإِنَّهَا لُجُوهِكُمْ وَلَيْسَ لِلَّهِ مِنْهَا شَيْءٌ»^(١).

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرَكَهُ»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(٣).

(١) أخرجه الدارقطني (١٣٣)، وحسنه الألباني في الترغيب.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧).



فلَمَّا دعا النبي ﷺ قَوْمَهُ إِلَى التَّوْحِيدِ كَانَتْ الدَّعْوَةُ سَرِيَّةً فِي السَّنَوَاتِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى؛ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانٌ عَلَى الْحَقِّ يَحْمِلُونَ دَعْوَتَهُ، وَيُوحِّدُونَ اللَّهَ قَبْلَ أَنْ يَصْدَعَ بِهَا، وَيَكْذِبَهُ قَوْمُهُ، وَيُؤْذِيهِ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُونَ، فَأَمَّنَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَخَدِيجَةُ وَوَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَغَيْرِهِمْ.

ثُمَّ أَمَرَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنْ يَصْدَعَ فِي قَوْمِهِ بِالْدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، إِلَى إِفْرَادِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ بِجَمِيعِ مَظَاهِرِ الْعِبَادِيَّةِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَدَعَاءٍ وَنَذْرٍ وَذَبْحٍ، وَتَوَكُّلٍ وَخَوْفٍ وَرَجَاءٍ وَاسْتِعَانَةٍ وَاسْتِغَاثَةٍ وَاسْتِعَاذَةٍ، وَحُجٍّ وَعُمْرَةٍ وَطَوَافٍ وَسُعْيٍ، وَبِرٍّ وَصَلَةٍ وَصَدَقَةٍ وَعَتَاقَةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الحجر: ٩٤]، وَقَالَ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}

{ [الشعراء: ٢١٤]، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جَبَلِ الصَّفَا وَنَادَى وَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ»، وَهِيَ كَلِمَةٌ تُقَالُ عِنْدَ الْأَمْرِ الْجَلَلِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: «فَإِنِّي



نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّ لَكَ سَائِرُ الْيَوْمِ،
 أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَتَزَلْتُ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ①} مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ
 مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ②} [المسد: ١-٢] ①.

ومن هنا كان الجهرُ بالدعوة إلى توحيد الله تعالى للناس كافةً،
 لكافة الجنِّ وعامة الورى بالحقِّ والهدى والنور والضياء، وقال
 ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَفْلِحُوا».

فَلِقِيهِ قَوْمُهُ بِالتَّكْذِيبِ وَالسَّخَرِيَّةِ وَالْعَدَاءِ؛ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ
 أَنْفُسِهِمْ، وَعَرَفَ قَوْمُهُ مُرَادَ دَعْوَتِهِ وَهِيَ: إِخْلَاصُ الْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ
 وَحْدَهُ، وَنَبْذُ جَمِيعِ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَبَيَانُ
 سَفَهِ الشِّرْكِ وَالْمَشْرُكِينَ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادِيَّةَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ
 الْقَهَّارُ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ، فَقَالُوا مُنْكَرِينَ
 وَمَتَعَجِّبِينَ: {أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ③} [ص: ٥].

أَي: أَنَّهُ لَا يُعْبَدُ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ فَقَطْ؛ وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، وَلَا

① أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).



يَسْتَحِقُّ الْعِبَادِيَّةَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ هَذِهِ
الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ وَالْأَضْرَحَةَ الْمَبْنِيَّةَ عَلَى قُبُورِ الصَّالِحِينَ كُلِّهَا
آلِهَةٌ مَزَيَّفَةٌ بَاطِلَةٌ لَا تَمْلِكُ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَرْزُقُ وَلَا تُعْطِي،
وَلَا تَمْلِكُ لِنَفْسِهَا وَلَا لغيرِهَا نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا
نُشُورًا؛ بَلْ وَلَا تَسْمَعُ مَنْ يُنَادِيهَا وَيَسْتَغِيثُ بِهَا وَيَسْتَشْفِعُ بِهَا عِنْدَ
اللَّهِ؛ {إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ}!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَصُورًا هَذَا الْمَشْهَدَ الْعَجِيبَ مِنْ رَدِّ فِعْلِ
الْمُشْرِكِينَ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَمَا دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ: {صَّ
وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ {كَمْ
أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتْ حِينَ مَنَاصٍ {وَعَجِبُوا
أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {
أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ {وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ {مَا
سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَمَلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا خَيْلٌ {أَنْزَلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا



عَذَابٍ ﴿٨﴾ {ص: ٨-١}.

وقاموا بحملةٍ إعلاميةٍ جبَّارةٍ في صَدِّ الناسِ عن دينهِ وعنه،
 واتَّهامِهِ بما يَنفُرُ الناسَ عنه، فقالوا: ساحرٌ، مجنونٌ، كاهنٌ، كذابٌ،
 شاعرٌ؛ حتى لا يؤمنَ به أحدٌ؛ بل حتى يَسفَهُهُ الناسُ، وآذوا النبيَّ
 ﷺ وأتباعَهُ بكلِّ ما يملكون من ظلمٍ وطغيانٍ.

وكلُّ هذا لم يثنِ النبيَّ ﷺ عن دعوتهِ إلى التوحيدِ، فمكثَ في
 مكةَ ثلاثةَ عَشَرَ عامًا يدعو إلى التوحيدِ، ولا يزدادون إلا سوءًا،
 حتى أذنَ اللهُ لَهُ ولأصحابِهِ بالهجرةِ من مكةَ إلى المدينةِ طابةَ
 وطيبةَ، بعد أن مهَّدَ للهجرةَ إليها بالأنصارِ الذين آمنوا بِهِ، وعاهدوهُ
 على النُّصرةِ والجهادِ بأموالِهِم وأنفسِهِم في سبيلِ اللهِ، وصدَّقوا ما
 عاهدوا اللهُ عليه، فهاجَرَ إلى المدينةِ داعيًا إلى التوحيدِ، وترسيخِ
 شرائعِ الإسلامِ ومعالِمِهِ، حتى قضى اللهُ لَهُ الأجلَ، بعد أن بلغَ
 الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ، ونصَحَ الأمةَ، وجاهدَ في سبيلِ رَبِّهِ حقَّ
 الجهادِ، حتى أتاهُ اليَقينُ عن أمةٍ عظيمةٍ موحَّدةٍ بربِّها، تحمِلُ دينَ
 اللهِ، مجاهدةً في سبيلِهِ، وورَثَ الكتابَ والسُّنةَ وهما النهجُ والدينُ



الذي قامت عليه دعوة التوحيد، فتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وذلك كله بعد أن أكمل الله الدين، وأتمَّ النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وجاء نصرُ الله والفتح، ودخل الناسُ في دين الله أفواجا.

دعا النبي محمد ﷺ إلى التوحيد وإخلاص العبودية لله وحده، وبين فضائل التوحيد وأهميته مبيناً لهم أن التوحيد هو سبيل الجنة والنجاة من النار، وسرُّ السعادة في الدنيا والآخرة، ومن هذه الفضائل التي بينها النبي ﷺ للناس ليكونوا من أهل التوحيد ما يأتي:



من فضائل التوحيد

١- التوحيد يُخرجُ الموحِّدين المُذنبينَ مِنَ النارِ، ولا يُخلِّدُهم

فيها: روى الإمام النسائي عن يزيد بن صُهيبِ الفقير، قال: كنا عند جابر، فذكر الخوارجَ، قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يُعَذَّبُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُونَ فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يُعَيِّرُهُمْ أَهْلُ الشَّرِّ فَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تَخَالِفُونَا فِيهِ مِنْ تَصَدِيقِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ، لِمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُرِيَ أَهْلَ الشَّرِّ مِنَ الْحَسْرَةِ، فَمَا يَبْقَى مُوَحِّدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللَّهُ» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: {رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} ^(١).

الخوارجُ يُكفِّرونَ الموحِّدَ الذي ارتكبَ الكبيرةَ، ويحكمونَ عليه بالخلودِ في النارِ، وهذا منهجٌ باطلٌ، مخالفٌ لما جاء به النبي ﷺ، فأرادَ جابرُ بنُ عبدِ الله أن يردَّ عليهم، ويبينَ فسادَ مذهبِهِم،

^(١) أخرجه النسائي (١١٢٠٧). وسنده حسن.



وَأَنْ عَصَاةَ الْمُوحِدِينَ الَّذِينَ مَاتُوا غَيْرَ تَائِبِينَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ بِرَحْمَتِهِ، وَإِنْ عَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ، لِأَنَّهُمْ مُوَحِّدُونَ، وَلَا يُخْلَدُ فِي النَّارِ مُوَحِّدٌ، كَمَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُشْرِكٌ، فَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ مَبِينًا أَنَّ مِنْ فَضَائِلِ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ يُخْرِجُ عَصَاةَ الْمُوحِدِينَ مِنَ النَّارِ، وَلَا يُخْلَدُهُمْ فِيهَا، وَهَذَا أَمْرٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

٢- التَّوْحِيدُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ: عَنْ بَرِيدَةَ بِنِ الْحُصَيْبِ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١).

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في الكبرى (٧٦١٩).



وروى ابن ماجه عن أنسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ
إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ،
الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. فَقَالَ:
«لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ
أَجَابَ»^(١).

٣- التوحيد يضاعفُ الأجورَ ويجعلُ العملَ اليسيرَ عندَ الله

عظيمًا: روى ابن ماجه عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ عن النبيِّ ﷺ
قال: «{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...} تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ»^(٢).

قلتُ: والشاهدُ أَنَّ هذه السورةَ رَغِمَ أَنَّهَا مِنْ أيسرِ سورِ القرآنِ
حجمًا وعددًا وحفظًا وقراءةً، إِلَّا أَنَّهَا لَمَّا كَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَى أَصْلِ
التوحيدِ كَانَ أَجْرُ مَنْ يَقْرُؤُهَا وَيَعْتَقِدُهَا عَظِيمًا؛ بَحِثُ إِنَّ قِرَاءَتَهَا
تَعْدِلُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ. واللهُ أعلمُ.

^(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٥٨)، وصححه الألباني.

^(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٧٨٩)، وصححه الألباني.



٤ - حُبُّ التَّوْحِيدِ وَأَدْلَتِهِ يُدْخِلُ الْعَبْدَ الْجَنَّةَ: روى التِّرْمِذِيُّ وأبو يعلى عن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّ رجلاً كان يلزَمُ قِراءةَ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} في الصَّلَاةِ في كُلِّ سُورَةٍ وهو يَوْمُ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ أَنْ تَقْرَأَ هَذِهِ السُّورَةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ». وفي روايةٍ: «إِنَّ حُبَّكَ إِيَّاهَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ»^(١).

- وروى التِّرْمِذِيُّ عن أبي هريرة، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} اللَّهُ الصَّمَدُ {١}، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَجَبَتْ». قُلْتُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ». قَالَ أَبُو هريرة: فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَأُبَشِّرُهُ، فَأَثَرْتُ الْغَدَاءَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، وَفَرَّقْتُ

^(١) أخرجه الترمذي (٢٩٠١)، وصححه الألباني.



أَنْ يَفُوتَنِي الْغَدَاءُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الرَّجُلِ
فَوَجَدْتُهُ قَدْ ذَهَبَ^(١).

- وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ
كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»^(٢).

قلت: والشاهد من ذلك أَنَّ حُبَّ الرجلِ لقراءةِ سورةِ الإخلاصِ
أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى أَصُولِ التَّوْحِيدِ، وَكَذَلِكَ آيَةُ
الْكُرْسِيِّ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِمَا شَمِلَتْهُ مِنْ أَصُولِ تَوْحِيدِ
اللَّهِ تَعَالَى.

٥- التوحيدُ بُشِّرَى لِأَصْحَابِهِ فِي الدُّنْيَا بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ:
رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ سَمِعْنَا مَنَادِيًّا يُنَادِي: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ

^(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٧)، وصححه الألباني.

^(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٠).



نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى الْفِطْرَةِ». فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ: «خَرَجَ مِنَ النَّارِ». قَالَ: فابْتَدَرْنَاهُ، فَإِذَا هُوَ صَاحِبُ مَاشِيَةٍ، أَدْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ، فَنَادَى بِهَا^(١).

قلتُ: شهد النبي ﷺ بالجنة لهذا الرجل؛ لِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ مِنْ صَدَقِهِ وَإِخْلَاصِهِ لِلَّهِ فِي هَذِهِ الشَّهَادَةِ.

وَأَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى إِخْلَاصِهِ أَنَّهُ فِي أَرْضٍ خَلَاءٍ قَدْ لَا يَرَاهُ فِيهَا بَشَرٌ، وَلَمَّا حَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ رَفَعَ شِعَارَ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ الْأَذَانُ، وَرَفَعَ شِعَارَ التَّوْحِيدِ وَهُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

ولذا: ينبغي على إخواننا من رُعاة الغنم ومن يَمَكُثُونَ فِي الْحَقُولِ وَالْمَزَارِعِ وَأَمَاكِنِ الْعَمَلِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْمَسَاجِدِ أَنْ يُحْيُوا هَذِهِ السُّنَّةَ؛ بَأَنْ يُؤْذِنُوا بِالصَّلَاةِ حَتَّى لَوْ كَانَ أَحَدُهُمْ بِمُفْرَدِهِ.

^(١) أخرجه أحمد (٣٨٦١)، صحيح على شرط الشيخين.



وقد وردَ حديثُ سَلَمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ قِيَّ فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً فَلْيَتَيْمَّمْ، فَإِنْ أَقَامَ صَلَّى مَعَهُ مَلَكَاهُ، وَإِنْ أَذَّنَ وَأَقَامَ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ مَا لَا يُرَى طَرَفَاهُ»^(١).

٦ - التَّوْحِيدُ يَكْفِي الْعَبْدَ هَمَّ الرِّزْقِ وَيَغْنِي قَلْبَهُ بِالْقَنَاعَةِ وَالرِّضَا:

روى الحاكم عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ رَبُّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا قَلْبِكَ غَنَى، وَأَمَلًا يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعِدْ مِنِّي فَأَمَلًا قَلْبِكَ فَقْرًا، وَأَمَلًا يَدَيْكَ شُغْلًا»^(٢).

٧ - التَّوْحِيدُ أَمَانٌ مِنَ الضَّلَالِ وَالْهَلَاكِ: روى عبدُ بنُ حميدٍ عن

أبي شَرِيحٍ الْخَزَاعِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَبَشِّرُوا أَبَشِّرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟». قَالُوا:

^(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١٩٥٥)، والقي: أرض فلاة.

^(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٧٩٢٦)، صحيح.



نعم. قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ، طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، تَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلُكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

٨- التوحيدُ يحقنُ الدِّماءَ، ويصونُ الأنفُسَ والأموالَ: روى ابنُ

ماجه عن أوسِ بنِ الصامتِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّا لَقُعُودٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يَقْصُصُ عَلَيْنَا، وَيَذَكِّرُنَا، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَارَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ»، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ، دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «هَلْ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «اذْهَبُوا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، حَرَّمْ عَلَيَّ دِمَاؤَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»^(٢).

٩- التوحيدُ يزنُ الذنوبَ والخطايا ويرجحُ بها ويرفعُ صاحبَهُ:

روى الترمذيُّ وابنُ ماجه عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرو، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلُصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

^(١) أخرجه عبد بن حميد في المنتخب من مسنده (٤٨٣)، حسن.

^(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٢٩)، صحيح على شرط مسلم.



فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنْكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتَوَضَّعَ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَنْقَلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ^(١).

الشاهد: أَنَّ كلمةَ التوحيدِ (الشهادتين) وزنتِ السَّجَلَاتِ، وطاشتِ بهنَّ جميعاً، وهذه من ثمراتِ وبركاتِ التوحيدِ، والعلمِ والإخلاصِ والصدقِ فيه.

١٠ - التوحيدُ أعظمُ أسبابِ تكفيرِ الذنوبِ والسيئاتِ: روى الترمذيُّ عن أنسِ بنِ مالكٍ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ:

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، صححه الألباني.



«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(١).

قلتُ: وهذا الحديث من أعظم أحاديث الرجاء في فضل التوحيد، فالتوحيد هو السبب الأعظم لمغفرة الذنوب، ولو بلغت ذنوب العبد ملء الأرض، ما دام قد لقي الله تعالى غير مشرك به شيئاً، فإن الله يغفر له بفضل توحيده، فالتوحيد يهدم ما قبله من الذنوب والآثام، كما أن الإسلام يهدم ما كان قبله.

١١ - التوحيد يوجب شفاعَةَ النبي ﷺ لأهله:

فالموحدون أسعدُ الناسِ بشفاعةِ النبي ﷺ، روى البخاري عن أبي هريرة قال: قلت: مَنْ أسعدُ الناسِ بشفاعتِكَ يا رسولَ الله؟ فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَّا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ

^(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، صحيح.



بَشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ^(١). وفي حديث أبي طالب: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»^(٢).

١٢- التوحيد وقاية لصاحبه من النفاق: روى أبو يعلى عن أنسٍ

قال: غدا أصحابُ النبي ﷺ ذات يوم، فقالوا: يا رسول الله؛ هلَكنا وربَّ الكعبة، فقال: «وَمَا ذَاكَ؟» قالوا: النفاقُ النفاق، قال: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟» قالوا: بلى، قال: «لَيْسَ ذَاكَ النَّفَاقَ» قال: ثُمَّ عَادُوا الثانية، فقالوا: يا رسول الله هلَكنا وربَّ الكعبة، قال: «وَمَا ذَاكَ؟» قالوا: النفاقُ النفاق قال: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟» قالوا: بلى، قال: «لَيْسَ ذَاكَ النَّفَاقَ»، قال: ثُمَّ عَادُوا الثالثة، فقالوا: يا رسول الله هلَكنا وربَّ الكعبة، قال:

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠) ومسلم (٢٤).



«وَمَا ذَاكَ؟» قالوا: النفاق، قال: «أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟»

قَالُوا: بَلَى، قال: «لَيْسَ ذَاكَ النَّفَاقَ»، قالوا: إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ كُنَّا عَلَى حَالٍ، وَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ هَمَّتْنَا الدُّنْيَا وَأَهْلُهَا، قال: «لَوْ أَنْكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي تَكُونُونَ عَلَى الْحَالِ الَّذِي تَكُونُونَ عَلَيْهِ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ بِطُرُقِ الْمَدِينَةِ»^(١).

١٣- التوحيد يُبْجِي صَاحِبَهُ مِنَ النَّارِ إِمَّا ابْتِدَاءً، وَإِمَّا بَعْدَ الْخُلُودِ فِيهَا لَوْ دَخَلَهَا بِذُنُوبِهِ: روى ابن ماجه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يُدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يُدْرُسُ وَشْيُ الثَّوبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيْسَرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا أَبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا». فَقَالَ لَهُ صَلَ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ،

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٣٠٤). حسن.



وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: «يَا صَلَّةُ، تُنَجِّهِمْ مِنَ النَّارِ» ثَلَاثًا^(١).

١٤- التَّوْحِيدُ يُكَفِّرُ الْغَدَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ: روى الإمام أحمد من

حديث عمرو بن عَبَسَةَ، قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ شيخٌ كبيرٌ يَدْعُمُ عَلَى عَصَا لَهُ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي غَدَرَاتٍ وَفَجَرَاتٍ، فهل يُغْفَرُ لِي؟ قال، «أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قال: بلى، وأشهد أنك رسولُ اللَّهِ، قال: «قَدْ غُفِرَ لَكَ غَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ»^(٢). قال السدي: «يَدْعُمُ»؛ أي: يَتَكَيَّأ.

«قَدْ غُفِرَ لَكَ»: لأنَّ الإسلامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ. والله أعلم.

روى الطبراني في «الكبير» والبخاري عن أَبِي طَوِيلٍ شَطَبِ الْمَمْدُودِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩). صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٩٤٣٢). صحيح بشواهده.



إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسْلَمْتُ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا
فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ:
«نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ
كُلَّهِنَّ»، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَا
زَالَ يَكْبُرُ حَتَّى تَوَارَى ^(١).

روى ابن خزيمة في «التوحيد» والطبراني في «الصغير» عن أنس
رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: ما تركت من حاجة
ولا داجة إلا أتيت. قال: «أَلَيْسَ تَشْهَدُ إِلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا
رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا يَأْتِي عَلَى
ذَلِكَ كُلِّهِ» ^(٢).

قال الحافظ: قوله: «من حاجة ولا داجة»، حكى فيها الخطابي
وجيهين، فأما التخفيف فالحاجة ظاهرة، والداجة: إبتاع فيما يظهر،

^(١) أخرجه الطبراني (٧٢٣٥). قال الحافظ: حسن صحيح غريب.

^(٢) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٦٩٥). صحيح.



وأما التشديد، فروى البغويُّ من طريقِ مبشِّر بنِ عبيدٍ قال: الحاجة: الذي يقطعُ الطريقَ على الحُجَّاجِ إذا ذهبوا، والدَّاجَّةُ الذي يقطعُ الطريقَ إذا رجَعوا.

١٥- التَّوْحِيدُ يُطِيعُ بِالْخَطَايَا: روى الإمامُ أحمدُ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا لَمْ تَضُرَّهُ مَعَهُ خَطِيئَةٌ»^(١).

١٦- التَّوْحِيدُ سَبَبُ الْغَفَرَانِ: روى الإمامُ أحمدُ عن معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ وَهِيَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، يَرْجِعُ ذَاكَ إِلَى قَلْبٍ مُوقِنٍ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهَا»^(٢).

روى الإمامُ أحمدُ عن ابنِ مسعودٍ، قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، إذا أحسنتُ في الإسلامِ أؤاخِذُ بما عملتُ في

^(١) أخرجه أحمد (٦٥٨٦). صحيحٌ على شرطِ الشيخين.

^(٢) أخرجه أحمد (٢١٩٩٨). صحيحٌ.



الجاهلية؟ قال: «إِذَا أَحْسَنْتَ فِي الْإِسْلَامِ، لَمْ تُؤَاخِذْ بِمَا عَمِلْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِذَا أَسَأْتَ فِي الْإِسْلَامِ، أَخَذْتَ بِالْأَوَّلِ وَالْآخِرِ»^(١).

١٦- التوحيد هو الغاية من خلق الخلق: قال الله تعالى: {وَمَا

خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [الذاريات: ٥٦]؛ أي:

ليوحدوني؛ أي: يخلصون العبودية لله وحده ويفردونه بها.

وقال: {وَمَا أَمَرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥٧﴾} [البينة: ٥٧].

١٧- التوحيد هو حق الله على العبيد: لحديث معاذ بن جبل

قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي

مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قلت: الله ورسوله

أعلم، قال: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،

وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(٢).

^(١) أخرجه أحمد (٣٥٩٦). صحيح.

^(٢) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).



١٨ - التوحيد هو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب:

قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾} [الأنبياء: ٢٥]، وقال: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾} [النحل: ٣٦].

١٩ - التوحيد أول ما يجب على العبد أن يتعلمه:

قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: ١٩] ؛ أي: تعلّم التوحيد أولاً، تعلّم معنى: لا إله إلا الله، وشروطها، ومقتضاها، ونواقضها، وحقوقها.

٢٠ - التوحيد هو أول ما يدعى إليه، ويجب على العالم أن

يعلمه: لحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حينما أرسله النبي ﷺ لأهل اليمن داعياً ومعلماً وقاضياً، قال ﷺ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَاعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ



خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ فَأَعْلِمَهُمْ أَنَّ
اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فَقَرَائِهِمْ»^(١).
وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ»^(٢).

٢١- التوحيد شرط قبول الأعمال ودخول الجنات:

قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠]، وقال: {وَلَقَدْ أُوحِيَ
إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]، وقال: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: ١٩].

وفي حديث عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ

(١) أخرجه أحمد (٢٠٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).



عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ^(١).

وعن عَتَبَانَ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»^(٢).

٢٢ - التوحيد سبب للأمن والهداية في الدنيا والآخرة: قال الله تعالى: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [٨٢] [الأنعام: ٨٢].

قال الصحابة: أَيْنَا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ؟ فقال ﷺ: «لَيْسَ الَّذِي تَظُنُّونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا كَلَامَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ: {يَبْقَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [١٣] [لقمان: ١٣]؟».

فمعنى الآية: الذين وَحَّدُوا، ولم يَخْلُطُوا توحيدَهُم بِشِرْكِ؛ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَالْهُدَايَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).



٢٣- التوحيدُ سببُ الشفاعةِ في القيامةِ: ففي حديثِ أبي هريرةَ

رضي الله عنه: «أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ»^(١).

وبَيَّنَ لنا اللهُ ورسوله أقسامَ التوحيدِ التي استفدناها باستِقراءِ نصوصِ القرآنِ والسُّنةِ، وأنها ثلاثٌ:

١- توحيدُ الربوبيةِ: وهو الإيمانُ بأنَّ اللهَ وحدهُ هو الخالقُ الرازقُ المُدبِّرُ للكونِ، المُحيي المميتُ، المَلِكُ المالكُ المُعْطِي الوَهَّابُ وحدهُ، وهذا أعظمُ دليلٍ على وجوبِ عبادةِ اللهِ وحدهُ، فالذي خلقَ، ورزقَ، وأحيا، وأماتَ، ودبَّرَ شؤنَ خلقِهِ هو اللهُ وحدهُ، المستحقُّ للشكرِ والعبادةِ.

٢- توحيدُ الألوهيةِ: وهو إفرادُ اللهِ بالعبادةِ وإخلاصُها له وحدهُ، فلا إلهَ سواه، ولا معبودَ بحقٍّ غيرُهُ.

^(١) سبق تخريجه.



٣- توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ: الإيمانُ بأنَّ اللهَ له صفاتٌ وأسماءٌ وَصَفَ وَسَمَّى بها نفسه، ووصفهُ وَسَمَّاهُ بها رسوله، كُلُّها حُسْنَى، وموصوفةٌ بالجمالِ والجلالِ والكمالِ المطلقِ لله تعالى، ولا نُسَمِّي اللهَ إلا بما سَمَّى به نفسه، ولا نَصِفُ اللهَ إلا بما وصفَ به نفسه، أو سَمَّاهُ ووصفهُ به رسوله ﷺ.



شروط كلمة التوحيد

كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله» لها شروط؛ لأنه لا يتحقق العلم بالتوحيد إلا بمعرفة هذه الشروط، وهي على النحو الآتي:

١ - العلم المنافي للجهل. الدليل: قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقول النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

٢ - القبول المنافي للرد. الدليل: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

٣ - الانقياد المنافي للتكبر. الدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

أي: أن مَنْ يستسلم لأوامر الله فهو المُتَمَسِّك بكلمة التوحيد.

٤ - اليقين المنافي للشك. الدليل: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا

^(١) أخرجه مسلم (٣٨).



الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ ﴿ [الحجرات: ١٥] ،
وقول النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله، لا يلقى
الله بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهما إلا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

٥- الصدقُ المُنافي للكذب. الدليل: قول النبي ﷺ: «ما من
أحدٍ يشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله صدقًا من قلبه إلا
حرَّمه الله على النار»^(٢).

٦- الإخلاصُ المنافي للشرك. الدليل: قولُ الله تعالى: ﴿وَمَا
أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، وقول النبي ﷺ:
«أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامةِ من قال: لا إله إلا الله؛ خالصًا
من قلبه»^(٣).

^(١) أخرجه مسلم (٣٩).

^(٢) أخرجه البخاري (١٢٨).

^(٣) أخرجه البخاري (٩٩).



٧- المحبةُ المُنافيةُ للكره. الدليل: قولُ الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقولُ النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ

وَجَدَ بِهِنَّ حُلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا

سِوَاهُمَا...»^(١).

^(١) أخرجه مسلم (٤٣).



المبحث الثاني

النهي عن كل ما ينقض التوحيد

مِنْ حِرْصِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى صِحَّةِ إِيْمَانِ أُمَّتِهِ وَنَجَاتِهِمْ مِنَ الْهَلَاكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ نَهَاوَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ عَنْ كُلِّ مَا يَنْقُضُ التَّوْحِيدَ وَإِخْلَاصَ الْعِبَادِيَّةِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَنَهَاوَهُمْ عَنِ الشِّرْكِ بِجَمِيعِ مَظَاهِرِهِ مَعَ بَيَانِ خَطَرِهِ وَأَضْرَارِهِ، وَعَنِ الْكُفْرِ بِجَمِيعِ مَظَاهِرِهِ مَعَ بَيَانِ خَطَرِهِ وَأَضْرَارِهِ، وَعَنِ النِّفَاقِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ وَمَظَاهِرِهِ وَبَيَانِ ضَرَرِهِ، وَعَنِ الرَّدَّةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَبَيَانِ عَاقِبَتِهَا.

وَهَذَا كُلُّهُ حِمَايَةٌ لَجَنْبَابِ التَّوْحِيدِ، وَحِرْصًا عَلَى أُمَّتِهِ مِنْ خُسْرَانِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨].

وإليك باختصار بيان نواقض التوحيد التي نهانا عنها النبي ﷺ:



أولاً: التحذير من الشرك وضرره وبيان أنواعه ومظاهره

بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى خَطَرَ الشَّرِكِ وَضَرَرَهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى النَّحْوِ
الآتِي:

١- الشَّرِكُ أَعْظَمُ أَلْوَانِ ظُلْمِ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ؛ حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ: {إِنَّ
الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣].

٢. الشَّرْكُ مُحِيطٌ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ
إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ
وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥].

٣- الشَّرْكُ مُخِلٌّ فِي النِّيرَانِ، مَنْ مَاتَ عَلَى الشَّرِكِ فَهُوَ خَالِدٌ فِي
جَهَنَّمَ أَبَدَ الْأَبْدِينَ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ
فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢].

٤- جَمِيعُ الذُّنُوبِ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ فِي الْقِيَامَةِ لَمَنْ مَاتَ عَلَيْهَا، إِنْ
شَاءَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ إِلَى الْجَنَّةِ بِبَرَكَةِ
التَّوْحِيدِ، إِلَّا الشَّرْكَ بِاللَّهِ، فَإِنْ مَاتَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَغْفَرَ



الله له، قَالَ تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} (٤٨)

[النساء: ٤٨].

٥- من مات وهو يشرك بالله شيئاً دخل النار؛ لقول النبي ﷺ:
«مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا
دَخَلَ النَّارَ»^(١).

٦- الشرك أكبر الكبائر، وأول المهلكات لقول النبي ﷺ: «أَلَا
أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ،
وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَجَلَسَ فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ،
وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ». فَمَا زَالَ يَقُولُهَا،
حَتَّى قُلْتُ: لَا يَسْكُتُ^(٢).

وقال ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤْبَقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا
هُنَّ؟ قَالَ: «الشُّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

^(١) أخرجه مسلم (٩٣).

^(٢) أخرجه البخاري (٥٩٧٦).



بِالْحَقِّ، وَأَكُلُ الرَّبَا، وَأَكُلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذَفُ
الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(١).

وَبَيَّنَ أَنَّ الشَّرْكَ نَوْعَانِ أَصْغَرُ وَأَكْبَرُ، وَكِلَاهُمَا عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ؛
وَذَلِكَ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ كُلِّ مَظَاهِيرِ الشَّرْكِ بِنَوْعِيهِ، وَقَدْ بَيَّنَّ لَنَا ذَلِكَ عَلَى
النَّحْوِ الْآتِي:

من مظاهر الشُّرك الأكبر في الأُمَّة:

١ - الدَّعَاءُ لِغَيْرِ اللَّهِ شَرْكٌ؛ كَمَنْ يَدْعُو عِنْدَ قُبُورِ الْأَمْوَاتِ، كَقَبْرِ
الْحُسَيْنِ، وَقَبْرِ الْبَدْوِيِّ، وَالسَّيِّدَةِ زَيْنَبَ... وَغَيْرِهِمْ، وَيَقُولُ: مَدِّ يَا
حُسَيْنَ. أَوْ: مَدِّ يَا بَدْوِي، وَنَحْوَ ذَلِكَ.
فَطَلَبُ الْمَدَدِ وَالْعَوْنِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَمْوَاتِ سُؤَالٌ وَدَعَاءٌ لِغَيْرِ اللَّهِ،
وَعِبَادَةٌ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَاعْتِقَادُ النِّفْعِ وَالضَّرِّ فِي غَيْرِ اللَّهِ، وَهَؤُلَاءِ مَوْتَى لَا
يَسْمَعُونَ، وَلَا يَمْلِكُونَ، وَلَا يَجِيبُونَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ
قُطْمِيرٍ^(١٣)﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ^(١٤)

^(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).



وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ^١ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٣﴾ [فاطر: ١٣-١٤]،

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى

يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا

بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف: ٦].

وقال النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(١)، فمن دعا غيرَ الله فقد عبدَ غيرَ الله، واتَّخذَه شريكاً معَ الله في عبادةِ الدعاء.

٢- **النذرُ لغيرِ الله شركٌ**: فالنذرُ عبادةٌ، ومَنْ نذرَ لغيرِ الله من الأولياء والصالحين فقد عبدَهم من دونِ الله، واتَّخذَهم شريكاً معَ الله، قال النبي ﷺ: «من نذرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعه، ومَنْ نذرَ أَنْ يَعِصِيَ اللهَ فَلَا يَعِصِه»^(٢).

٣- **الذبحُ لغيرِ الله شركٌ**: الذبحُ عبادةٌ يتقَرَّبُ بها العبدُ إلى الله، فلو صرفها العبدُ لغيرِ الله - كالذبح في الموالد للأولياء والصالحين، أو الذَّبْحُ للجنِّ في حفلات الزار، وفك السَّحر، أو تحت النعش، ونحو ذلك - فقد ذبحَ لغيرِ الله، وأشركَ معَ الله آلهةً

(١) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وابن ماجه (٢٨٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).



أخرى في عبادة الذبح، ولذلك قال النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لغيرِ اللَّهِ»^(١).

وأخبر الله تعالى أن ما ذُبح لغير الله يحرمُ أكله؛ قال الله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾

[المائدة: ٣].

ولا يجوزُ الذبحُ عند قبر رجل صالح، ولا عند الموالد؛ لأنَّ الأضرحةَ المبنيةَ على قبورِ الصالحين هي أوثانُ الجاهلية، والموالدُ هي أعياد الجاهلية.

٤- الاستعاذةُ بغيرِ الله شرك: الاستعاذةُ هي الالتجاءُ إلى الله، والالتصاقُ بجنابه من شرِّ كلِّ ذي شرٍّ، وهي من عبادةِ الافتقار والتذللِ إلى الله، وهذه عبادة لا تجوزُ إلا لله.

فإذا صُرِفَ لغيرِ الله تعالى كانت شركاً بالله، وقد ذمَّ الله الكفارَ الذين كانوا يعوذون بالجنِّ من دونِ الله، فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

٥- الاستغاثةُ بغيرِ الله شركٌ: لأنَّ الاستغاثةَ معناها طلبُ العونِ

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).



وَالْغَوْثِ، وَهُوَ إِزَالَةُ الشَّدَّةِ، وَتَفْرِيجُ الْكُرْبَةِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ اللَّهِ، فَلَا سَتْعَانَةَ عِبَادَةً، فَإِذَا صُرِفَتْ لغيرِ اللَّهِ صَارَتْ مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، كَمَنْ يَذْهَبُ عِنْدَ قُبُورِ الصَّالِحِينَ، وَيَسْتَعِثُّ بِهِمْ؛ لِدَفْعِ بَلَاءٍ، وَتَفْرِيجِ كَرْبٍ، وَنَحْوِهِ.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]؛ أي: المشركين، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧]، وقال: ﴿أَمَنْ يُحِبُّ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا نَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

٦ - الاستعانة بغيرِ الله فيما لا يقدرُ عليه إلا اللهُ شَرِكٌ: الاستعانةُ هي طلبُ العونِ ممَّنْ يقدرُ عليه، فإذا كانت في أمورٍ لا يقدرُ عليها إلا اللهُ، فلا تكونُ الاستعانةُ إلا بالله، وهي عبادةٌ، ومن صرَفَها لغيرِ الله وقع في الشَّرِكِ بالله، ولذا قال النبي ﷺ لابن عباس: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ



٧- التبرُّك بالأشجار والأحجار والقبور والأضرحة، والاعتقادُ فيها بجلب نفع، أو دفع ضررٍ: **مِن الشَّرِكِ بِاللَّهِ**: فعن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ - شَجَرَةُ السِّدْرِ - يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنْوِطُونَ - أَي: يُعَلِّقُونَ - بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. أَي: أغصان. فقال: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ» [الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(٢).

٨- الطوافُ حَوْلَ الأضرحةِ وقبورِ الصالحينِ شَرِكٌ بِاللَّهِ: لأن الطوافَ عِبَادَةٌ لِلَّهِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الصَّلَاةِ؛ لقول النبي ﷺ: «الطوافُ صَلَاةٌ»، وَالصَّلَاةُ لَا تَجُوزُ إِلَّا لِلَّهِ.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٨٩٧).



فمن طاف أو صَلَّى لغير الله فقد عبدَ غيرَ الله، وأشرك بالله، قال

الله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

فالطوافُ لا يكونُ إلا حول الكعبة، لله ربَّ العالمين، بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء لله ربَّ العالمين، فَمَنْ طاف حول القبور والأضرحة - كما يفعله الصوفية، والشيعة، والذين يقيمون الموالد - فقد أشرك بالله.

٩ - عبادة الشيطان شركٌ بالله: كلُّ عبادةٍ لغير الله فهي عبادةٌ

للسَّيْطَانِ؛ لقولِ الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

وهناك طائفةٌ من الشباب الجاهل أو المأجور على الإسلام يعبدون الشيطانَ بارتكاب الزنا، والفواحش، واستحلال المحرمات، ويسمُّون أنفسهم (عبدة الشيطان).

١٠ - الخوف من غير الله شرك: والخوفُ قسمان:

الأول: هو خوفُ العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يُسمَّى بخوف السر، فهذا لا يصلحُ إلا لله، فمن أشركَ فيه مع الله غيره، فهو مشركٌ شركاً أكبر، كمن يخاف من الموتى المقبورين أن



يُضْرُوه بِشْيءٍ إِذَا لَمْ يُؤَفِّ إِلَيْهِمْ نَذْرَهُمْ.

والثاني: هو الخوفُ الطبيعي الجبلي الذي فطر الله الناس عليه، كالخوف من الموت، ومن الحيات، والوحوش، والعدو، وهذا أمرٌ طبيعي، لا حَرَجَ فيه، كما أخبر الله عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى العِصِيَّ والجبالَ على صورة حيات: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه: ٦٧-٦٨].

١١ - الرجاء في غير الله شرك: وهو أن ترجو من مخلوق ما لا يقدرُ عليه إلا الله، كمن يذهب عند قبور الصالحين أو إلى الدجالين، ويطلبُ منهم المَدَدَ بأن يُرْزَقَ ولدًا، أو يُعَافَى من مرضٍ، أو يُنَجَّحَ ولدًا في الدراسة...، ونحو ذلك.

١٢ - المحبة لغير الله شرك: المحبة قسمان:

الأول: هو محبةُ العبادة؛ لأنَّ عبادةَ الله مبنيةٌ على المحبة؛ بل هي حقيقةُ العبادة، وهي التي توجبُ التذللَ والخضوعَ والتعظيمَ لله ربِّ العالمين؛ لأنَّ الإنسانَ يمثلُ لأوامر الله على قدر محبة الله في قلبه، فمن أشركَ مع الله غيره في هذه المحبة فهو مشرك.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ



كُحِبَّ اللَّهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴿البقرة: ١٦٥﴾.

والقسمُ الثاني من المحبة: فهو ما ليس بعبادةٍ في ذاتها، كمحبة الإشفاق والرحمة للولد، والضعيف، والمريض، ومحبة الإجلال والاحترام للوالد، والعالم، والكبير، والمحبة الطبيعية، كمحبة الطعام، والشراب، والثياب، والمسكن، والمركب، فليس هذا هو المقصود في باب الشرك، إلا إذا قُدِّمت هذه المحبةُ على محبة الله ورسوله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤].

١٣- التوكلُ على غيرِ الله شركٌ: لأنَّ التوكلَ معناه: الاعتمادُ على الله سبحانه وتعالى في جلبِ المطلوب، ودفعِ المكروه، مع الثقة به، وفعل الأسبابِ المشروعة لذلك؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۖ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ



وكيلًا ﴿٨١﴾ [النساء: ٨١].

والتوكل ثلاثة أقسام:

الأول: توكلُّ عبادةً وخضوعاً؛ بحيث يعتمد على من توكل عليه اعتماداً مطلقاً في جلب النفع، ودفع الضرر، مع الشعور بالافتقار إليه، وهذا لا يكون إلا لله، فمن صرفه لغير الله فهو مشرك شركاً أكبر، كالذين يعتمدون على الأموات والغائبين ممن يعتقد أن لهم تصرفاً في الكون في جلب النفع أو دفع الضرر؛ مثل: عقيدة الصوفية في الأقطاب، والأولياء، ومشايخ الصوفية.

والثاني: الاعتمادُ على شخصٍ أو وظيفةٍ في الرزق والمعاش ونحو ذلك، فيشعر أنه معتمد على ذلك اعتماد افتقارٍ، فيحابي ويهان في سبيل ذلك، فهذا شرك أصغر.

والثالث: الاعتمادُ على شخص، وتفويضه وتوكيله في فعل شيء معين، كبيع، أو شراءٍ، ونحو ذلك، فهذا جائزٌ، ولا بأس به.

١٤- الصَّلَاةُ والسُّجُودُ والركوعُ لغير الله شركٌ: لأنَّ هذا من

صرفِ العبادة لغير الله، والله تعالى يقول: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا

لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾



ويقول: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين سجد له: «يا معاذ، إن هذا لا ينبغي أن يكون إلا لله» [ابن ماجه: ١٨٥٣].

١٥- التحاكم إلى غير شرع الله شرك وكفر: فالذي له حق تشريع الأحكام هو الله وحده، قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]، وبين أن من شرع للناس أحكاماً تخالف حكمه فقد جعل نفسه شريكاً لله في التشريع، فقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فمن اعتقد جواز التحاكم إلى غير شرع الله، أو اعتقد أن حكم غير الله مثل حكم الله، أو أفضل من حكم الله، أو كره ما أنزل الله؛ فقد أشرك مع الله إلهاً آخر في حق تشريع الأحكام.

ولذلك قال الله عن اليهود والنصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، فقال عدي بن حاتم



للنبي ﷺ: «إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ؟! وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟!». قَالَ: بَلَى. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»^(١).

١٦- طاعةُ الأمراءِ أو العلماءِ في مخالفةِ شرعِ اللهِ شركٌ: لأنَّ الذي له حقُّ التشريعِ للخلقِ هو اللهُ وحده، فهو الذي يُحِلُّ ويُحَرِّمُ، ويُطاع طاعة مطلقّة، أما طاعةُ الأمراءِ والعلماءِ فهي مقيدة بطاعة الله تعالى، كما قال الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال النبي ﷺ: «لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(٢)، فنحن لا نطيعُ وَلَاةَ الأمورِ إلا فيما هو طاعةٌ لله، فإن أمرونا بمعصية الله فلا سمعَ لهم ولا طاعة.

فمن أطاعهم في معصية الله فقد اتخذهم أرباباً مع الله، وأشرك بالله، كما قال الله تعالى عَمَّنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

^(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢١٨).

^(٢) أخرجه البخاري (٧٢٥٧).



١٧- التسمي باسمٍ يَدُلُّ على التعبيد لغير الله تعالى شرك: كمن

يسمي ولده: عبد الرسول، وعبد النبي، وعبد الحسين، وعبد المسيح... وما شابه ذلك مما فيه تعبيدٌ لغير الله.

فَمَنْ اعتقد أن هذا المخلوق يستحقُّ أن يُعبدَ - كما يفعل الشيعة الرافضة في غُلُوهم في الحسين، وعليّ زين العابدين، وعلي بن أبي طالب، ونحوهم - فهذا شرك أكبر يخرج عن المِلَّة، وأما إن كانت التسمية مجرد تقليد للغير فهذا شرك أصغر، لا يخرج عن الملة.

١٩- التسمي باسم ملك الملوك، أو قاضي القضاة، أو شاهان

شاه، أو باسم من أسماء الله التي لا تصحُّ إلا لله شرك:

فمن تسمي بشيءٍ من هذه الأسماء فقد جعل نفسه شريكاً مع الله فيما لا يستحقُّه إلا الله؛ لأنَّه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحكام، أو ملك الأملاك إلا الله سبحانه وتعالى؛ ولذلك قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمِي ملك الأملاك، ولا مالك إلا الله» [البخاري: ٦٣٠٦].

أي: أوضع اسم، وأما إذا قلنا: «فلان قاضي قضاة مصر» فهذا جائز، ولا حرج فيه؛ لأنه مقيّد ومحدود بمكان معين.



ومن الأسماء التي لا تصحُّ إلا لله: اسم الله، الرحمن، رب العالمين... وما أشبه ذلك.

فكان من كفر فرعونَ وشركه أن قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٤﴾

[النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وفي الأسماء ما يصحُّ أن يُوصَفَ به غيرُ الله كاسم الرحيم، والكريم، والسميع، والبصير، فنقول: فلان رحيم أو كريم ونحو ذلك، فهي صفةٌ يتصفُّ بها المخلوقُ على قدره وضعفه وفقره إلى الله الذي منحه هذه النعم والصفات.

٢٠- اتخاذُ واسطةٍ بين العبد وربِّه في الدعاء من الشرك: وذلك

كمن يتخذُ الأمواتَ من الصالحين واسطةً بينه وبين الله، يستشفعُ بهم على الله؛ ليقربوه إلى الله زُلْفَى، كمن يتخذُ الحسين أو البدوي أو الولي الفلاني واسطةً بينه وبين الله في الدعاء، ويقول: بحق جاه الوليِّ الفلاني أن تفرِّجَ كربِي، أو تقضيَ أمري... ونحوه.

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ

إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ

اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].



المشركون الذين عبدوا اللَّاتَ والعُزَّى والأضرحةَ والأموات، قالوا: ما نعبدُهُم إلا لَأَنَّهَا واسطةٌ تُقَرِّبُنَا إلى الله، فحَكَمَ اللهُ عليهم بالكذب والكفر.

فلا يجوزُ اتخاذُ الموتى وسائطَ بينك وبين الله في الدعاء ونحوه؛ لأنَّ هذه وسيلةٌ غير مشروعة.

أما الوسيلةُ والواسطةُ المشروعة: فتكون بإحدى ثلاث:

١- التوسُّلُ إلى الله بِأَسْمَائِهِ وصفاته، كقولِ النبي ﷺ: «يا حيُّ، يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»، وقوله ﷺ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هو لك... أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي...».

٢- التوسُّلُ إلى الله بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الخالصِ لوجهه الكريم؛ كما حصل في قصة أصحاب الغار الثلاثة التي قصَّها علينا رسولُ الله ﷺ.

٣- التوسُّلُ إلى الله بِدَعَاءِ الصَّالِحِينَ الأحياء، كأن تتوسَّم الصَّلاحَ في شخصٍ وتقول له: ادْعُ لي، كما كان الناس يأتون رسولَ الله ﷺ ليدعَوْ لهم، ويأتون الصحابة والتابعين لهم بإحسان ليدعوا لهم الله تعالى.



٢١- الاعتقادُ في السَّحَرَةِ، والدَّجَالين، والكُهَّان، والعَرَّافين،
أنَّهم يعلمون الغيبَ، أو أنهم ينفعون أو يضرُّون شرك:

علمُ الغيبِ من خصائصِ الله وحده؛ إذ قال عن نفسه: ﴿عَلِمُ
الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ٢٦ إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿
[الجن: ٢٦-٢٧].

والنفعُ والضرُّ من خصائصِ الله وحده، فهو سبحانه مالكُ
الملك، والنفعُ والضرُّ بيده وحده لا شريكَ له؛ حيث قال سبحانه:
﴿وَأَن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا
رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧].

وقال النبي ﷺ: «واعلم أنَّ الأمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك
بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن
يُضُرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك».

فمن زعم أنه يعلمُ الغيبَ فقد جعل نفسه شريكاً لله في ذلك،
ومن اعتقد أن غير الله يعلم الغيب فقد جعل مع الله إلهاً آخر.
ومن زعم أنه يملك النفع والضرر فقد جعل نفسه شريكاً لله في
ذلك، ومن اعتقد أن غير الله يملك النفع والضرر فقد أشرك بالله.



ولذلك قال النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(١).

وقد أَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَى أَنَّ السَّحَرَ كُفْرٌ، وَأَنَّ السَّحْرَةَ لَا يَمْلِكُونَ الضَّرَّ وَلَا النِّفْعَ، وَإِنَّمَا هَذَا مِنْ خِصَائِصِ اللهِ؛ حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال النبي ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ».

وَقَرْنَ السَّحَرَ بِالشِّرْكِ؛ لِأَنَّ الْإِعْتِقَادَ فِي السَّحَرِ وَالسَّاحِرِينَ بِأَنَّهُمْ يَنْفَعُونَ أَوْ يَضُرُّونَ أَوْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالْكَفَرُ بِهِ وَبِآيَاتِهِ وَرِسَالَاتِهِ.

(١) أخرجه أحمد (٩٥٣٦)، وأبو داود (٣٩٠٤).



٢٢- الاعتقادُ في الأنبياء أو الأولياء أنهم يعلمون الغيبَ في حياتهم، وأنهم يعلمون الغيبَ بعد موتهم، ويُجيبون مَنْ دعاهم، وأنهم يظهرون لهم يقظةً أو منامًا، ويلقون عليهم التعاليم، ويخبرونهم بالغيبات، ونحو ذلك.

ذكرنا أنَّ علم الغيبِ من صفاتِ الله وخصائصه، ولا يعلمُ الأنبياءُ في حياتهم شيئًا من الغيبِ إلا بما أوحاه الله إليهم، وقد مات الأنبياء، وانقطع الوحيُ عنهم بموتهم، فمن ادَّعى أن أحدَ الأنبياء يأتي إليه في اليقظة أو في المنام، ويُخبره بالغيبات؛ فهو كذابٌ مشركٌ بالله، وإن كان يأتيه شيء يخبره بشيء، فإنما ذلك شيطانٌ يدلُّس عليه.

كذلك الأولياءُ والصالحون لا يعلمون الغيبَ، لا في حياتهم، ولا بعد موتهم؛ ولكن غلاة الشيعة والصوفية والرافضة يعتقدون أن أقطابهم وأولياءهم ومشايخ الطرق الصوفية والشيعة يأتون إليهم يقظةً ومنامًا، ويلقون عليهم التعليمات، ويخبرونهم بالغيبات، وهذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة.



كما زعم ذلك محمد عثمان عبده البرهاني أن إبراهيم الدسوقي وغيره يأتيه يقظةٌ ومنامًا، وإنما الذي يأتيه في هذه الصور وبهذه التعليمات شياطينُ الجنِّ، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَلَ الشَّيْطَانُ ﴿٣١﴾ نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجْدِلُواكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

ومن مظاهر الشرك الأصغر:

١- **الرِّياء:** ومعناه: أن يعمل الإنسان العملَ الصالح، ويظهره للناس؛ ليمدحوه به، وتكون له منزلةٌ في نفوسهم، كمن يصلي أو يتصدق أو يطلب العلم وغير ذلك حتى يقول عنه الناس: إنه رجل صالح، أو: إنه كريم، أو: إنه عالم، أو قارئ، أو صوته جميل، فيقصد بعمله وجوه الناس.

وقد حذر النبي ﷺ من الرِّياء، فقال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرِّياء».



يقول الله إذا جزئ العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا، هل تجدون عندهم جزاء؟» [أحمد: ٢٣٦٣٠].

وبين أنه يحبط الأعمال، وأن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة هم المراءون، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ حدثه: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمة فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جريءٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمة فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عالمٌ، وقرأت القرآن ليُقَالَ: هو قارئٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمة فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هو جوادٌ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في



والإنسان لا ينجو من الرياء إلا بإخلاصٍ نيةً لله دائماً في كل الأعمال، واللجوء إلى الله؛ لِيُثَبِّتَهُ على الإخلاص له والعمل الصالح، وأن يدعو ربه بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»^(٢).

٢- إرادة الإنسان بعمله الدنيا من الشرك الأصغر: وذلك كمن يعملُ العمل الصالح من أجل الحصول على مصلحة دنيوية محضة، كمن يجاهد ليحصل على الغنيمة، أو يطلب العلم؛ لينال شهادة أو وظيفة، ولا يحتسب الأجر في هذه الأعمال من الله، فيصير عبداً للدنيا؛ لقول النبي ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِينَارِ، والدرهم، والقَاطِفَةِ، والخَمِيسَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»^(٣)، هذا من الشُّرك الأصغر المُحِيطُ للعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾^(٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ وَحِطَّ مَا

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٢) الأدب المفرد (٧١٦)، وعمل اليوم والليلة (٢٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٨٦).



صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [هود: ١٦].

ولقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»^(١).

ولقول النبي ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَغَنَّى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُرِيدَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

أَمَّا مَنْ كَانَ يَرِيدُ صِلَاحَ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ بِالْعَمَلِ فَهَذَا مَبَاحٌ؛ لِأَنَّ الْوَعِيدَ وَرَدَّ فِي حَقِّ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا وَحَذَاهُ بِالْعِبَادَةِ، وَلِأَنَّ اللَّهَ رَتَّبَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ مَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةً عَاجِلَةً، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ ﴿٢﴾ وَيرزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۖ ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۖ ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ

^(١) أخرجه البخاري (١).

^(٢) أخرجه أحمد (٨٤٥٧)، وابن ماجه (٢٥٢).



أَنْهَرًا ﴿١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢].

٣- الاعتمادُ على الأسبابِ من الشرك الأصغر: فالأسبابُ هي ما يفعله الإنسان؛ ليحصلَ له ما يريدُه من مطلوبٍ، أو لدفعِ مرهوبٍ في الدنيا والآخرة، فمن الأسبابِ في أمور الدنيا: البيعُ، والشراءُ، والكسبُ، والسعيُّ، والذهابُ للطبيب، والسوق، والمدرسة، ونحو ذلك.

ومن الأسبابِ في أمور الآخرة: فعلُ العبادة من صلاة، وصيام... إلخ.

والواجبُ على المسلمِ فعلُ الأسبابِ المشروعة مع توكله على الله، واعتقاده أنَّ فعله وسعيه مجردُ سببٍ، ولا أثرَ له إلا بمشيئة الله وحده، إن شاء نفع به، وإن شاء أبطله، فإذا اعتمد على السبب وقع في الشرك.

فالأخذُ بالأسبابِ من التوكلِ على الله، والاعتماد عليها شرك بالله، وتركها خللٌ في العقل، وكذبٌ على الشرع، فإذا اعتمد الإنسان على السبب كلياً، وأنه الذي ينفع ويضر فقد وقع في الشرك الأكبر.

٤- ومن الشرك في الأسباب: أن يجعلَ ما ليس سبباً سبباً، فإن اعتقد أن هذا الشيءَ مستقلٌ بالتأثير بدون مشيئة الله فهو شركٌ أكبر،



كحال عباد الأصنام والقبور الذين يعتقدون أنها تنفع وتضر استقلالاً.

وإن اعتقد أن الله جعله سبيّاً - والله لم يجعله سبيّاً - فهو شرك أصغر.

٥ - الطيرة شرك أصغر: الطيرة هي التشاؤم والتفاؤل من شيء معين، كشخص، أو يوم، أو مكان، أو حيوان، أو طير ونحو ذلك من الأمور، وهذا التشاؤم والتفاؤل اعتقاد في غير الله بالنفع والضرر من جهة، وسبب غير شرعي من جهة، ولذلك حذر منه النبي ﷺ فقال: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منّا إلا ولكن الله يذهب بالتوكّل»^(١).

وكان العرب قديماً في الجاهلية إذا أرادوا سفراً للتجارة أو الغزو ونحو ذلك، أو أراد أحد أن يمضي لأمر ما كالزواج ونحوه يأتي بالطير فيزجره، فإن طار جهة اليمين تفاعل ومضى لسبيله، وإن طار جهة الشمال تشاءم ولم يمض.

وقد أبدلنا الله خيراً منها؛ شرع لنا صلاة الاستخارة، إذا أراد

^(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٥).



الإنسان أن يمضي لأمر صلى ركعتين، واستخار الله فيهما بالدعاء،
إن كان هذا الأمر خيراً أن يوفقه، وإن كان شراً فليصرفه الله عنه.
وكان النبي ﷺ يحبُّ الفألَ الحسنَ، ويستبشرُ به، والفألُ
الحسنُ هو الكلمة الطيبة.

٦- **النُّشْرَةُ مِنَ الشَّرِكِ الْأَصْغَرِ:** والنُّشْرَةُ هي حلُّ السحرِ عن
المسحور بالطلاسم السحرية، والرقى غير الشرعية، والرموز
الشیطانية، وهي شركٌ بالله؛ لأنها اعتقادٌ في غير الله بالنفع من جهة،
وسببٌ غير شرعي من جهة، واستعانة بالشیاطين من جهة، ولذلك
سئل النبي ﷺ عن النُّشْرَةِ، فقال: «مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»^(١).

وقد أبدلنا ربُّنا بالرقية الشرعية من القرآن والسنة، كالرقية
بalfاتحة، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، والمعوذات،
والأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ.

٧- الرقى الشريكية البدعية: الرقية نوعان:

الأول: الرقية الشرعية بالقرآن والسنة، كالرقية بalfاتحة،
والمعوذات، والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، فهذه مشروعة،

^(١) أخرجه أحمد (١٤١٣٥).



وجائزة بشروط:

- ١- أن يعتقدَ الراقي والمَرَقِي أنها لا تؤثر بذاتها، وإنما بقدر الله.
- ٢- ألا يعتمدَ عليها المَرَقِي بقلبه؛ بل هي سبب كالدواء، مع الاعتماد والتوكل على الله، واعتقاد أنه الشافي وحده، وأن الأخذ بالأسباب من التوكل على الله.
- ٣- ألا تكونَ من ساحرٍ أو متَّهمٍ بسحر.

الثاني: الرقية الشريكية البدعية المناقضة للقرآن والسنة، وهي سبب غير شرعي، واعتقادٌ في غير الله بالنعف والضرر من جهة أخرى، كالرقية من العين بالعروسة الورقية المحرقة والمُثَقَبَة بالإبرة، والتي يُؤخذ رَمَادُ ورقها المحرَّق، ويصلَّب به وجهُ المريض.

وكذلك الرقيةُ بوضع بعض الموادِّ في النار، فحين تتحوَّل إلى شكل آخرَ طَوَّلاً أو عَرْضاً يقولون: إِنَّ التي عانتَها ونظَرَتها فلانةُ الطويلة، أو القصيرة...، ثم يلقون بها في ناحية معينة معتقدين فيها النفع من العين.

أو استعمالُ الطلاسِم أو ألفاظ غير مفهومة؛ خاصةً إذا كانت من شخصٍ غير معروف بالصالح.



وكذلك رقية السَّحرة والدَّجَّالين والمشعوذين والقساوسة، كل هذه من الرقى الشركية، التي حذَّر منها النبي ﷺ؛ حيث قال: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكٌ»^(١).

لأنَّها اعتقادٌ في غير الله من جهة، وسببٌ غير شرعي من جهة، فإن اعتمد عليها الراقي والمَرَقِيّ معتقداً أنها سببٌ من الأسباب، وأنها لا تستقل بالتأثير فهذا شرك أصغر.

أما إن اعتمد عليها اعتماداً كلياً معتقداً فيها النفع والضرر، أو تضمنت صرفَ شيء من العبادة لغير الله كالدعاء والاستعاذة بمخلوقٍ فهذا شركٌ أكبر.

٨- التَّمَائِمُ مِنَ الشُّرْكِ الْأَصْغَرِ: التَّمَائِمُ هي الخرزات، والحبوب، والأحجبة، و(علامة أصابع الكف الخمسة)، والودع، وبعض النعال التي تُعلَّق على المريض، أو الطفل، أو البهيمة، أو الدكان، أو باب البيت... ونحو ذلك لدفع البلاء، والعين، والسَّحر، والجِن، ونحو ذلك.

وهذه التَّمَائِمُ مِنَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ؛ لأنها اعتقاد في غير الله بجلب نفع

(١) أخرجه أحمد (٣٦١٥)، وابن ماجه (٣٥٣٠).



أو دفع ضرٍّ، وهي سببٌ غير شرعي بل بدعي؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١).

ولقوله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»^(٢)؛ أي: لا جعله الله في راحةٍ ولا سكونٍ.

ولقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ»، فإن اعتقد معلقها أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو شركٌ أكبر، وإن اعتقد أن النافع هو الله وحده؛ لكن تعلق قلبه بها في دفع الضر فهو شرك أصغر لا عتماده على الأسباب، وجعل ما ليس سبباً سبباً.

وهي من فعل الجاهلية، والسَّحَرَة، والمشعوذين، ولا يجوز تعليق تائمٍ من آيات القرآن ولا الأدعية الماثورة؛ لأن ذلك امتهانٌ لها، ولم يثبت دليلٌ بذلك عن النبي ﷺ.

٩- التَّوَلَةُ شِرْكَ: التَّوَلَة - بكسر التاء وفتح الواو واللام -: ضربٌ من ضروب السَّحَر، تفعله المرأة بالذهاب للسَّحَرَة، تجلبُ به محبةَ زوجها (سحر العطف والمحبة).

(١) أخرجه أحمد (١٧٤٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٤٠٤).



وقد حذّر منها النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ الرُّقَى والتَّمَائِمَ والتَّوَلَةَ شُرَكَاءَ»، وهي من الشرك لما يراد بها من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى، فهي اعتقاد في غير الله من جهة، وسبب غير شرعي من جهة.

١٠ - بُسُّ الحَلَقَةِ والخِيطِ (الحِظَاطِ) ونحوها لرفع البلاء أو دفعه من الشُّرك بالله تعالى: وذلك كَمَنْ يلبسُ في يده حلقةً من نحاسٍ أصفر، أو خيطاً معيناً، أو حلقةً من جلدٍ تُسمَّى في عرفنا بـ(الحِظَاطِ) لجلب الحظ والنفع أو دفع الضرر، وهي من الشرك؛ لأنها اعتقادٌ في غير الله من جهة، وسبب غير شرعي من جهة أخرى، ولذلك قال النبي ﷺ: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وَكَلَّ إِلَيْهِ» [مسند أحمد: ١٨٧٨١]، رأى حذيفة رجلاً في يده خيطٌ من الحُمَى، فقطّعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٠٦﴾ [يوسف: ١٠٦].

١١ - الحَلِفُ بغير الله من الشُّرك الأصغر: الحلف هو توكيدُ الشيء بذكر اسم الله، أو صفة من صفاته، ولا يجوزُ الحلفُ إلا بالله، والحلفُ بغير الله تعظيمٌ للمخلوق، وذلك لا يجوزُ إلا لله؛ قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ



حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»^(١)، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٢).

فَمَنْ حَلَفَ بِمَخْلُوقٍ فَقَدْ جَعَلَهُ شَرِيكًا لِلَّهِ فِي هَذَا التَّعْظِيمِ الَّذِي لَا يَلِيقُ إِلَّا بِهِ سُبْحَانَهُ، وَالْمَحْلُوفُ بِهِ هُوَ الَّذِي يَطْلَعُ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ صَدَقِ الْحَالِفِ، أَوْ كَذِبِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلِكُ عِقَابَ الْحَالِفِ لَوْ كَذَبَ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ.

وَإِذَا كَانَ الْحَالِفُ أَشْرَكَ فِي لَفْظِ الْقَسَمِ لَا غَيْرَ، فَوَقَعَ فِي شُرْكَ أَصْغَرَ، فَإِنَّ مَنْ قَصَدَ بِحَلْفِهِ تَعْظِيمَ الْمَحْلُوفِ بِهِ مِنَ الْخَلْقِ كَتَعْظِيمِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَقَعُ بِذَلِكَ فِي الشُّرْكِ الْأَكْبَرِ.

وَمِنَ الْعَجَبِ: أَنَّكَ تَجِدُ أَحَدَهُمْ يَحْلِفُ بِاللَّهِ كَاذِبًا، وَيَخَافُ أَنْ يَحْلِفَ بِالشَّيْخِ الْفُلَانِي كَاذِبًا، فَيَعْظُمُهُ وَيَخَافُهُ أَكْثَرَ مِنَ اللَّهِ، كَمَا يَفْعَلُ جَهْلَةُ الصُّوفِيَّةِ وَالشَّيْعَةِ.

١٢ - العطف والتشريك بين الله وبين أحد من خلقه «بالواو»

من الشرك: لأنَّ العطفَ بالواو يقتضي مطلق الجمع والتسوية بين

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥٣٧٥)، وأبو داود (٣٢٥١).



المعطوف والمعطوف عليه، فلا يجوز أن تُسوَّى بين الله وبين أحدٍ من خلقه بحرف العطف (الواو).

كمن يقول: توكلتُ على الله وعليك، أو: ما شاء الله وشئتُ، أو: ما لي إلا الله وأنت، أو: أرجو الله وأرجوك، أو: ما لي بركة إلا ربنا وأنت... ونحو ذلك من الكلمات.

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، وجعله من اتخاذ الأنداد والشركاء لله، حينما قال له رجلٌ: يا رسولَ الله، ما شاء الله وشئتُ. فقال النبي ﷺ: «أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا، قُلْ: ما شاء الله وحده». وفي رواية: «قُلْ: ما شاء الله، ثم شئتُ»^(١).

١٣ - الاستسقاء بالأنواء من الشرك: الاستسقاء هو طلب السُّقيا ونزول المطر.

والأنواء هي النجوم، وكان أهل الجاهلية إذا نزل المطرُ عند ظهور نجمٍ معينٍ يعتقدون أنَّ هذا النجم هو سببُ نزول المطر،

^(١) أخرجه أحمد (١٨٣٩)، والنسائي (١٠٧٥٨). وانظر: موسوعة الألباني في العقيدة (٩٤/٤).



فينسبون نزول المطر إليه لا إلى الله، فيقولون: **مُطِرْنَا** بنوء كذا؛ أي: بالنجم الفلاني، فمن طلب من النجم نزول المطر، أو اعتقد أن النجم هو الذي **يُنْزِلُ** المطر فقد أشرك؛ لأنه لا ينزل المطر إلا الله. ومن اعتقد أن النجم هو المنزل للمطر من دون الله فهذا شرك أكبر؛ لأنه اعتقد في غير الله، ومن اعتقد أن النجم سبب في نزوله فهذا شرك أصغر؛ لأنه جعل ما ليس سبباً سبباً.

ولذلك قال الله تعالى: «أَصْبَحَ من عبادي **مُؤْمِنٌ** بي وكافر، فأما من قال: **مُطِرْنَا** بفضل الله ورحمته، فذلك **مُؤْمِنٌ** بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: **مُطِرْنَا** بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، **مُؤْمِنٌ** بالكوكب»^(١).

١٤ - نسبة الفضل إلى غير الله شرك: قال الله تعالى: ﴿فَلَا

تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الأنداد: هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفة

^(١) أخرجه البخاري (٨٤٦).



سوداءَ في ظلمةِ الليل؛ وهو أن نقول: لولا كلبيةٌ هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فكلُّ نعمةٍ يُرَزَقُ بها العبدُ من الله، وكل سوء يُصَرَّفُ عن العبد فمن فضل الله ورحمته.

فلا يجوزُ أن ننسبَ الفضلَ إلى غيرِ الله، كمن يقول: لولا الطبيبُ لمات المريض، فهذا نسبُ الفضلِ للطبيب، وجعله النافع الضار، ولكن نقول: لولا أن الله سخرَ الطبيبَ لمات المريض، فالطبيب سبب، والذي سببه وسخره هو الله.

ولا يجوز أن نقول: لولا الكلبُ لسُرِقَ البيت، ولكن نقول: لولا أن الله تعالى سخرَ الكلبَ ينبج على السُّراق لسُرِقَ البيت، فالفضل لله الذي سخرَ الكلبَ وسببه لذلك.

وهكذا في كل شيء، وهذا لا يمنع أن نشكر الناسَ على فضلهم وجهدهم وجميلهم، فإن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ» [أحمد: ٧٥٠٤، الترمذي: ١٩٥٥]، فيجب أن نشكرهم، وقال



﴿وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ، فَإِنْ لَمْ تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا اللَّهَ لَهُ؛ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ﴾^(١).

ونسبة النعمة لغير الله كفرٌ بالنعمة؛ لقول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ

نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

ثانيًا: التحذير من الكفر وضرره وبيان أنواعه ومظاهره

الكفر: هو الجحود والإنكار، والكِبْر والاستهزاء بالله وآياته ورسوله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

والكفر كالشرك محبطٌ للأعمال، ومخلدٌ في النيران، ومورثٌ

للخسران في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ

فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]. قال

الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ

الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ

فَوَقَّعَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، وقال سبحانه:

^(١) أخرجه أحمد (٥٧٤٣)، وأبو داود (١٦٧٢).



{وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [الحج: ١٢]، وقال: {وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ} [البقرة: ٢٥٤]، وقال: {وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} [غافر: ٨٥]، وقال: {وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ٥٦]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا} [البقرة: ١٦١]، وقال: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [الزمر: ٣].

وهكذا فقد بينَ اللهُ خطورته في كتابه وعلى لسان نبيه، وقد بينَ لنا أنواعه بأنه كفرٌ أكبرٌ يخرجُ عن الملة، وكفرٌ أصغرٌ، وحذرنا من كلِّ مظاهره.

من مظاهر الكفر:

- ١- إنكار وجود الله تعالى، وادّعاء أن هذا الكون ليس له إله.
- ٢- عبادة غير الله، كالنصارى الذين يعبدون المسيح عيسى بن



مريم، أو يقولون: «إن الله ثالث ثلاثة»، أو يقولون: «اتخذ الله ولداً»، وكالصابئة الذين يعبدون الشمس، والقمر، والنجوم، ومشركي قريش الذين كانوا يعبدون الأصنام، وقوم نوح الذين كانوا يعبدون القبور والأضرحة المبنية على قبور الصالحين، وكعبدة الشيطان الذين يفعلون المحرمات؛ تعبدًا وتقربًا للشيطان، ومثل الهنود الذين يعبدون البقر، ومثل البوذيين الذين يعبدون صنم بوذا الكافر.

٣- **ادّعاء أن الله ولداً**، كالنصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، واليهود الذين قالوا: عزير ابن الله، والمشركون الذين قالوا: الملائكة بنات الله، والله سبحانه لم يتخذ ولداً، ولا زوجةً، وليس له ابن، ولا أم، وليس بمخلوق؛ بل هو الله الواحد الأحد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وهو الخالق وحده.

فكل هؤلاء السالف ذكرهم كفار؛ لأنهم جحدوا وكذبوا الله ورسوله، وأنكروا ما أنزل.

٤- **إنكار ركن من أركان الإسلام**، كالشهادتين، أو الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج.

٥- **إنكار ركن من أركان الإيمان**، كالإيمان بالله، وملائكته،



ورُسُلِهِ، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر، فمن كذب أو أنكر نبياً من الأنبياء المنصوص عليهم في القرآن والسنة، أو ملكاً من الملائكة، أو كتاباً من الكتب المذكورة فهو كافرٌ.

ز - **إنكار القرآن الكريم، أو التكذيب به، أو ادعاء أنه ليس** كلام الله، أو التكذيب بسورةٍ، أو بآيةٍ، أو بكلمةٍ، أو بحرفٍ منه؛ لأن الله هو الذي أنزله، وتكفل بحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١١٣] نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ ١١٣ ﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿ ١١٤ ﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال عنه: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ ﴿ ٤١ ﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿ [فصلت: ٤١-٤٢].

٦ - **زعم أن القرآن قد نقص منه آيات أو سور، مثل الشيعة** الراضية الذين كذبوا وقال ذلك، وزعموا أن عندهم سورة الولاية وسورة النورين، وهما سورتان مكذوبتان على الله من كذب الشيعة الروافض المجوس، شيعة إيران والعراق.



٧- **إنكار اسم من أسماء الله، أو صفة من صفات الله الثابتة** بالقرآن والسنة الصحيحة ثبوتاً قطعياً، مثل: فرقة الجهمية الضالة.

٨- **إنكار سنة رسول الله الصحيحة الثابتة**، فمن أنكر السنة فقد طعن في القرآن، وكذب الله ورسوله، وكفر بالإسلام؛ لأننا لا نستطيع أن نفهم القرآن وأن نفهم الإسلام إلا بالسنة الثابتة عن النبي ﷺ.

٩- **تكفير الصحابة، والطعن فيهم**، والحكم برديتهم، أو بفسقهم؛ لأن الصحابة رجالٌ عدول صالحون، وقد شهد الله بعدلتهم، وبشرهم رسوله ﷺ بالجنة، فمن كفرهم وطعن فيهم فقد كذب الله ورسوله، والصحابة الكرام هم الذين نقلوا إلينا الدين، ونشروه في الأرض، ونقلوا إلينا القرآن والسنة.

فالذي يطعن في الصحابة كافرٌ يريد أن يهدم الإسلام.

١٠- **إنكار تحريم شيء حرّمه الله في الكتاب والسنة** وصار مجمعاً على تحريمه، مثل: السرقة، والزنا، وشرب الخمر، والمسكر، واللواط، والردة عن الإسلام، والتبرج، ونحو ذلك؛ لأنه استحلال ما حرّمه الله بالدليل القطعي.

١١- **استحلال نكاح المحارم** من النسب، أو الرضاع.



١٢- **تحريم المباحات التي أحلها الله، وإنكار حلها،** كمن يحرم تعدد الزوجات، ويعتبره ظلماً للمرأة، أو يحرم الحجاب، ويعتبره تقييداً لحرية المرأة ونحو ذلك.

١٣- **إنكار واجب من الواجبات التي فرضها الله،** وأوجبها بالكتاب والسنة، كالجهاد بأنواعه حسب القدرة والاستطاعة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك.

١٤- **جحود سنة من السنن المجمع عليها،** كالسنن الرواتب للصَّلوات، أو صيام التطوع، أو حج التطوع.

١٥- **تصحيح دين الكفار،** كاليهود، والنصارى، والمجوس، وزعم أنهم كالمسلمين، ويدخلون الجنة؛ لأنه لن يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ولأن الله يقول: ﴿أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرِمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ [القلم: ٣٦]، ويقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٨٥) [آل عمران: ٨٥].

١٦- **إنكار التحاكم إلى شريعة الله،** وزعم أن أحكام الشريعة لا تصلح لحكم الناس، واعتقاده أن القوانين الوضعية المخالفة لشريعة الله أفضل من أحكام الشريعة، أو مساوية لها في المنزلة.



ثالثاً: التحذير من النفاق وضرره وبيان أنواعه ومظاهره

ولخطورة النفاق ونقضه للتوحيد حذرنا الله ورسوله منه في الكتاب والسنة؛ لأن النفاق ضرره كالشرك والكفر؛ بل هو من أخطر أنواع الكفر، وأهله أخطر الكفار المعاندين للإسلام والمسلمين.

قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾} [النساء: ١٤٥]، قال الله سبحانه: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٦﴾} [النساء: ١٤٦]، وقال: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾} [التوبة: ٦٧]، وقال: {فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٣﴾} [البقرة: ١٣]، وقال: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٤﴾} [البقرة: ١٤]، وقال: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ



جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة: ٦٨]، وقال: {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء: ١٤٠]، وقال: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة: ١٥٠].

والنفاق كالكفر والشرك نوعان: أصغر وأكبر، وقد حذرنا النبي ﷺ من مظاهر النفاق وصوره:

١ - الاستهزاء بالله، ورسوله، وكتابه، قال الله عن المنافقين:

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿ [التوبة: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

مُسْتَهْزِئُونَ ﴿ [البقرة: ١٤].

٢ - سبُّ الله أو الرسول، أو تكذيبهما، والطعن في الشريعة،

قال الله عن المنافقين: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: ٥٨]؛

أي: يعيبون النبي، ويتهمون به بعدم العدل، ويلمزونه بالاستتهم وجوارحهم، كالغمز بالعين، ونحو ذلك.



٣- **الإعراض عن دين الإسلام، وعيبه، والعمل على إبعاد** الناس عنه، وعلى عدم التحاكم إليه، والحرص على تحكيم القوانين الوضعية المخالفة للشريعة، واعتقاد أنها أفضل من حكم الله، قال الله عن المنافقين: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

٤- **اعتقاد صحة المذاهب الهدامة، والدعوة إليها، مع معرفة** حقيقتها، فإنها هدم للإسلام، مثل: الدعوة للقومية، والعلمانية، والشيوعية، ويسمون أنفسهم بالقوميين، أو العلمانيين، أو الشيوعيين، ومثل: دعاة وحدة الأديان؛ الإسلام، واليهودية، والنصرانية، ومحاولتهم التسوية بينها، وجعلها ديناً واحداً، واعتقاد أن أصحابها جميعاً من أهل الجنة، وعلى الصواب.

٥- **موالاة الكفار ومناصرتهم على المسلمين ومحبتهم، قال** تعالى محذراً المؤمنين من ذلك، ومبيناً حال المنافقين: ﴿يَا أَيُّهَا



الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ
أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾
[المائدة: ٥١-٥٢]، والذين في قلوبهم مرض، ويسارعون في نصره
الكفار: هم المنافقون الذين يظهرون الإسلام، ويبتغون الكفر.

٦- إظهار الفرح والسرور عند انتصار الكفار وهزيمة
المسلمين، أو إصابتهم بأي ضرر، قال تعالى عن هؤلاء المنافقين:
﴿وَإِذَا لَقُّوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَىٰكُمْ أَلَّا نَمْلِكَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا
يَغِظْكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَسْتَكْبِرُوا تَسْأَلُونَ سَأَلَهُمْ وَإِنْ تُصَبِّحُوا
سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
بِمَا يَعْمَلُونَ جَبِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٩-١٢٠].

٧- سب الصحابة وعلماء المسلمين ودعاة التوحيد والسنة،
والسخرية منهم، ورميهم بالتهم الباطلة، قال الله عن المنافقين في
وصفهم للصحابة الكرام الصالحين المصلحين حفاظ الكتاب
والسنة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ



أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ١٣﴾. وقال الله عنهم:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي
الْصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ
وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩].

وذلك مثل ما يحصل اليوم من هؤلاء المنافقين في وسائل
الإعلام بطعنهم وسبهم للعلماء المصلحين.

٨- مدح أهل الكفر والزندقة ومفكريهم، ونشر آرائهم
المخالفة للإسلام، كالحلاج وابن عربي الحاتمي الصوفي،
وغيرهم من أئمة الضلال، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾
[المجادلة: ١٤].

ومثل ذلك أيضًا: نشر مناهج أهل البدع والضلال الهدامين
لعقيدة التوحيد، والدعوة إليها، كمنهج المعتزلة، والصوفية،
والروافض، والخوارج، وتدعيمهم لإحياء الموالد والطرق
الصوفية المختلفة على مستوى العالم، وتشيد الأضرحة والقبور



التي تُصَرَّف إليها مظاهرُ العبادة، كالطواف، والدعاء، والنذر،
والذبح، والخوف، والرجاء، والتوكل، والاستغاثة... ونحو ذلك.

رابعاً: التحذير من الرِّدَّة

وهي الكفرُ بعدَ الإيمانِ، والشركُ بعدَ الإسلامِ، والنفاقُ بعدَ
الإخلاصِ.

قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ
فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ
عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾} [المائدة: ٥٤]، وقال:
{وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾} [البقرة: ٢١٧].



وقال النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيْبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(١).
لِلْجَمَاعَةِ»^(٢).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(٣).

من مظاهر الرِّدَّة:

١. من بَدَّلَ دِينَهُ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَتَحَوَّلَ إِلَى دِينٍ آخَرَ، كَالنَّصْرَانِيَّةِ، أَوِ الْيَهُودِيَّةِ، أَوِ الْمَجُوسِيَّةِ، أَوِ الْبُودِيَّةِ، أَوِ الْبَهَائِيَّةِ، أَوِ الْقَادِيَانِيَّةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

٢. جميع مظاهر الكفر الأكبر تدخل تحت مظاهر الرِّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.

ما جزاء المرتدِّين عن الإسلام؟

لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا مُسْلِمًا عَاقِلًا بَالِغًا حَرًّا مُخْتَارًا غَيْرَ مُكْرَهٍ وَلَا مُتَأَوِّلٍ وَلَا جَاهِلٍ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى مِلَّةٍ أُخْرَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَالنَّصْرَانِيَّةِ، أَوِ الْيَهُودِيَّةِ، أَوِ الْبَهَائِيَّةِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ

^(١) أخرجه مسلم (١٦٧٦).

^(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧).



أولاً، فتُعَرَّضُ عليه التَّوبَةُ، وَيُنَاقَشُ، وَيُعَلَّمُ، وَتُقَامُ عليه الْحُجَّةُ، وَيُتْرَكُ مَدَّةً لِلْاِقْتِنَاعِ وَالتَّفَكِيرِ، فَإِنْ رَجَعَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَابَ مِنَ الرَّدَّةِ فَهُوَ مُسْلِمٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ.

وإنَّ أَصْرًا عَلَى كُفْرِهِ وَرِدَّتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ اسْتِنَابَتِهِ، وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، فَهَذَا يَحْكُمُ وَلَاةُ الْأُمُورِ وَالْعُلَمَاءُ بِكُفْرِهِ.

ولَوْلِي الْأَمْرِ أَنْ يَقِيمَ عَلَيْهِ حَدَّ الرَّدَّةِ بِالْقَتْلِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١).

^(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧).



المبحث الثالث

نهى النبي ﷺ أمته عن الغلو في شخصه الكريم حياً وميتاً

النبي محمد ﷺ هو سيد الخلق وخيرهم، وأشرفهم بإطلاق، ومع ذلك نهى عن الغلو في شخصه الكريم في حياته وبعد مماته؛ حتى لا يكون ذلك ذريعة إلى الشرك بالله؛ لأن ظهور الشرك في الأرض كان بسبب الغلو في الأنبياء والصالحين، فخشى ﷺ على أمته ما حصل للأمم قبلها مما أدى إلى انحرافها عن التوحيد وعبوديتها لغير الله، ومن ذلك على سبيل المثال:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا سيدنا، وابن سيدنا، ويا خيرنا، وابن خيرنا، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، ورسول الله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله»^(١).

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٨٩)، وصححه الألباني (٢٥٥٠).



- وقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَرْفَعُونِي فَوْقَ قَدْرِي؛ فَإِنَّ اللَّهَ

أَتَّخِذَنِي عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَنِي نَبِيًّا»^(١).

- وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا

أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢).

أي: لا تجاوزوا في مدحي، ولا تغالوا في شخصي.

- وكان الصحابة رضي الله عنهم أشدَّ الناسِ مَحَبَّةً للنبي ﷺ؛

ولهذا قام بعضهم بالغلو فيه ووصفه بما لا ينبغي إلا لله، فردَّ عليهم

ذلك، وبيَّن لهم وللأمة جميعاً أنَّ هذا لا ينبغي إلا لله سبحانه ومن

ذلك: عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال النبي ﷺ لَمَّا قَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا شَاءَ

اللَّهُ وَشِئْتُ: «أَجْعَلُنِي لِلَّهِ نِدًّا؟». وفي لفظٍ: «أَجْعَلُنِي لِلَّهِ عَدْلًا؟ مَا

شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٣).

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٨٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٣) أخرجه النسائي (١٠٧٥٩).



عن الرُّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنَيَّ عَلِيٍّ، فَجَلَسَ عَلَيَّ فِرَاشِي كَمَا جَلَسَ مِنِّي، وَجَوِيرِيَاتٍ يَضْرِبْنَ بِالْذَفِّ، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولِي هَكَذَا، وَقُولِي مَا كُنْتَ تَقُولِينَ»^(١).

فَالْجَارِيَةُ مَدَحَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَوَصَفَتْهُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ لِشِدَّةِ مَحَبَّتِهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَيْهَا هَذَا الْمَدْحَ وَالْإِطْرَاءَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُوصَفُ بِعِلْمِ الْغَيْبِ إِلَّا اللَّهُ، فَأَبَى أَنْ يُوصَفَ بِوَصْفٍ لَا يَلِيقُ وَلَا يَجُوزُ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ: {عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} ٢٦ إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ٢٧ { [الجن: ٢٦-٢٧].

فَالرَّسُولُ ﷺ لَا يَعْلَمُ مِنَ الْغَيْبِ شَيْئًا إِلَّا بِمَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ، وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

(١) أخرجه البخاري (٤٠٠١).



السُّوءَ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وعن عبد الله بن الشَّخِيرِ رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامرٍ إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طولًا. فقال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»^(١).

بل أخبرَ اللهُ تعالى أَنَّ النبيَّ ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا يملك لنا ضرًّا ولا رَشَدًا؛ بل ليس له من الأمر شيءٌ، وأنَّ الأمرَ كُلَّهُ لله، قال تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءَ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٣﴾ [الجن: ٢٢-٢٣]}.

^(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) بسندٍ جيد، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٧٤)، وأحمد (١٦٣٥٩).



وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ كُسِرَتْ رِبَاعِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَجَّ فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} ^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فَلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا»، بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} إِلَى قَوْلِهِ: {فَاتَّهُمْ ظُلُمُونَ} ١٢٨ [آل عمران: ١٢٨] ^(٢).

فَنَزَلَتِ الْآيَةُ مَرَّتَيْنِ:

^(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٠٧٧)، وابن ماجه (٤٠٢٧) واللفظ له، وأحمد (١٢٨٣١).

^(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩).



في غزوة أُحُدٍ، وفي حادثة بئرِ معُونة، وحصلَ فيهما ما حصلَ من
البلاءِ الشديدِ للنبي ﷺ ولأصحابه، فقد قُتِلَ في أُحُدٍ سبعونَ، وفي
بئرِ معُونة سبعونَ، ومن شدةِ حزنِ النبي ﷺ وغضبه دعا على
المُشركينَ، فأنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، ثمَّ جاؤوا تائبينَ نادمينَ مسلمينَ
مبايعينَ للنبي ﷺ بعد أن شرحَ اللهُ صدورَهم للإسلام، فصاروا من
أنصارِهِ الموحِّدينَ المُجاهدينَ.

وعن عبدِ اللهِ بنِ أبي أوفى، قال: لَمَّا قَدِمَ معَاذُ منَ الشَّامِ سَجَدَ
لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟» قَالَ أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ
يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ
بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ أَمْرًا أَحَدًا أَنْ
يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ
مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا، وَلَوْ
سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعَهُ»^(١).

^(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣)، وابن حبان (٤١٧١)، واللفظ لهما، وأحمد (١٩٤٠٣).



وعن قيس بن سعد، قال: أتيت الحيرة، فرأيتهم يسجدون لمرزبانٍ لهم، فقلت: رسول الله ﷺ أحق أن يسجد له، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبانٍ لهم، فأنت أحق أن يسجد لك، فقال لي: «أرأيت لو مررت بقبري أكنت تسجد له؟» فقلت: لا. فقال: «لا تفعلوا، لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن؛ لما جعل الله لهنّ عليهنّ من الحق»^(١).

وعن أبي هريرة، قال: إن رسول الله ﷺ حين أنزل عليه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] قال: «يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا، يا صفيّة عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، يا

(١) أخرجه أبو داود (٢١٤٠).



فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِّينِي بِمَا شِئْتُ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا^(١).

فالنبي ﷺ في حياته وبعد مماته لا يملك لأهل بيته وعشيرته الأقربين - حتى لابنته فاطمة - من الله شيئاً، وكلُّ هذا حتى لا يُغالي في شخصه أحد، ولا يوصف بما لا يليق إلا لله وحده؛ لأنَّ الغلوَّ في الأنبياء والصالحين هو أصلُ الشرك وصرف العبودية لغير الله والاعتقاد بالنفع والضرر في غير الله تعالى.

وكذلك نهى عن الغلوِّ في قبره وشخصه بعد مماته ﷺ؛ حتى لا يكون ذلك ذريعةً للشرك بالله، وعبادته ﷺ بعد موته بالاعتقاد فيه بالنفع والضرر، أو التبرك بقبره أو ندائه ودعائه من دون الله ونحو ذلك من العبادات التي يفعلها المشركون وأهل البدع عند الأوثان وقبور الصالحين، فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللَّهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠).



وَيَكُونُ الْقَبْرُ وَثَنًا بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ قَبَّةٌ أَوْ
 ضَرِيحٌ أَوْ مَشْهَدٌ، وَيُشِيدُ، وَيُعْظَمُ، وَيُطَافُ حَوْلَهُ، وَيُتَبَرَّكُ بِهِ،
 وَيُتَمَسَّحُ بِهِ، وَيُنَادَى وَيُدْعَى، وَيُسْتَغَاثُ بِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيُنْذَرُ لَهُ،
 وَيُذْبَحُ لَهُ، وَيُرْجَى وَيُخَافُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي لَا
 تَجُوزُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ.



المبحث الرابع سَدُّ كُلِّ ذَرِيعَةٍ تُوَدِّي إِلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ تَعَالَى

الذريعةُ في اللغةِ هي الوسيلةُ الموصلةُ إلى الشيءِ، سواءً إلى مصلحةٍ أو إلى مفسدةٍ.

وسدُّ الذريعةِ هو حَسْمُ مادةٍ وسائلِ الفسادِ؛ دفعًا للمفاسدِ المترتبةِ عليها، فكلُّ سبيلٍ - ولو كان مباحًا - يُوَدِّي إلى الشرِّ والفسادِ يُحرِّمُهُ الشرعُ؛ جلبًا للمصلحةِ ودَرْءًا للمفسدةِ، فدرءُ المفاسدِ مُقَدَّمٌ على جلبِ المصالحِ، وكلُّ وسيلةٍ تُوَدِّي إلى الحرامِ فهي حرامٌ، فما بالنا إذا كانتْ هذه الوسائلُ تُوَدِّي إلى الشَّرِكِ بِاللَّهِ الذي هو أكبرُ الكبائرِ وأعظمُ العظائمِ المحبِطَةِ للأعمالِ والمخلِدةِ في النارِ.

ولهذا سَدَّ الشرعُ الحنيفُ كلَّ الذرائعِ التي تُوَدِّي إلى الشَّرِكِ ومظاهِرِهِ، وبهذا جاءَ النبيُّ المصطفى ﷺ لحمايةِ جنابِ التوحيدِ ووقايةِ الأمةِ من مداخلِ الشَّرِكِ وأسبابِهِ ومظاهِرِهِ.



ومن أهم هذه الذرائع التي سدّها الله ورسوله لحماية جناب التوحيد ما يأتي:

١- النهي عن الغلو في الصالحين:

الغلو هو مجاوزة الحدّ مدحاً أو قدحاً، كغلو اليهود والنصارى في عيسى ابن مريم، فاليهود غلّوا فيه بالذمّ والقَدَح فقالوا: ابن زنى، ونفس خبيثة وليس نبياً ولا رسولاً، فكفّروا به وبرسالته، وقذفوه وأمه بالباطل والبهتان، وصاروا حطب جهنّم.

والنصارى غلّوا فيه بأن جعلّوه إلهاً، وعبدوه من دون الله، ومنهم من جعله ابناً للإله، ومنهم من جعله جزءاً من الإله؛ أي: ثالث ثلاثة، فكفّروا وأشركوا، وصاروا حطب جهنّم.

والغلو في الصالحين هو: مجاوزة الحدّ في تعظيمهم؛ برفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، وهو من أعظم أسباب الشرك، بل هو أصل ظهور الشرك في الأرض كما كان الأمر في قوم نوح.

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: في قول الله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} (٢٢)



[نوح: ٢٣]؛ قَالَ: هِيَ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ: أَنْ انْصُبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا، وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَاءِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ - أَي: زَالَ الْعِلْمُ وَارْتَفَعَ - عُبِدَتْ.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: لَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ، فَعَبَدُوهُمْ.

أَي: طَافُوا حَوْلَ قُبُورِهِمْ، وَتَمَسَّحُوا وَتَبَرَّكُوا بِهَا، وَسَلَّوْهُمْ وَدَعَوْهُمْ، وَاسْتَغَاثُوا بِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَاتَّخَذُوهُمْ شَفْعَاءَ وَوَسَطَاءَ يَقْرَبُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَنَذَرُوا لَهُمْ، وَذَبَحُوا لَهُمُ الْقَرَابِينَ مَعْتَقِدِينَ فِيهِمْ النِّفْعَ وَالضَّرَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى وَغَيْرِ هَذَا مِنْ مَظَاهِرِ الْعِبُودِيَّةِ الَّتِي لَا تَجُوزُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَعَلَّتِ الْيَهُودُ فِي عَزِيرٍ حَتَّى قَالُوا: إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ، وَغَلَّتِ النَّصَارَى فِي عَيْسَى حَتَّى قَالُوا: هُوَ اللَّهُ، وَقَالُوا: هُوَ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالُوا: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، فَأَشْرَكُوا وَكَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسَلِهِ، فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ



أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
قَبْلَ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [التوبة: ٣٠].

{ قَتَلَهُمُ اللَّهُ } ؛ أي: لعنهم الله كيف يكذبون!؟

ولهذا نهى الله أهل الكتاب والمسلمين عن الغلو، فقال:
{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا
لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾} [النساء: ١٧١].

وقال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ
قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ»^(١).

٢- النهي عن البناء على القبور والكتابة عليها وتزيينها: خشية
الغلو فيها وصيرورتها أوثاناً تُعبد من دون الله.

(١) أخرجه أحمد (١٨٥١).



روى الإمام مسلمٌ عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُجَصَّصَ القبرُ، وأن يُقَعَّدَ عليه، وأن يُنَى عليه.

وتجصيصُ القبرِ معناه تزيينه بالدهاناتِ المختلفةِ والستورِ والأنوارِ والمقاصيرِ ونحو ذلك، والبناءُ عليه: برفعه عن سطح الأرض، وبناء الأضرحةِ والقبابِ والمشاهدِ ونحو ذلك، ممَّا يحملُ الناسَ على الغلوِّ فيها حتى تصيرَ أوثانًا تُعْبَدُ من دونِ الله بصرفِ مظاهرِ العبوديةِ لها من: طوافٍ وتبركٍ ودعاءٍ ونذرٍ وذبحٍ وخوفٍ ورجاءٍ وتوكلٍ واستغاثةٍ... إلخ.

والنهْيُ عن القعودِ على القبرِ؛ مراعاةً لحُرمةِ الميتِ وعدمِ امتهانِ القبورِ، فالمسلمُ محترمٌ حيًّا وميتًا.

ونهى عن الكتابةِ عليها؛ لِئَلَّا يُغَالَى فيها وفي أصحابِها، وهكذا الشرعُ الحنيفُ يَسُدُّ كُلَّ ذريعةٍ تُوَدِّي إلى الشركِ.

ولهذا قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١).

(١) سبق تخريجه.



وهذا النهي يشمل قبر النبي ﷺ وجميع القبور، فإذا كان الغلو في قبر النبي ﷺ حراماً؛ سداً لذريرة اتخاذهِ وثناً يُعبدُ من دونِ الله، فمن باب أولى عدمُ جوازِ الغلو في قبورِ غيره، والبناءُ عليها واتخاذها أوثاناً.

٣- الأمرُ بهدمِ القبورِ المشرفةِ عن الأرض؛ لئلا تُتخذَ أوثاناً تُصرفُ لها مظاهرُ العبوديةِ من دونِ الله: روى الإمامُ مسلمٌ عن أبي الهياج الأسديّ قال: قال لي عليُّ بنُ أبي طالبٍ: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ؟ ألا تدعُ تمثالاً إلا طمستهُ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويتهُ. وفي رواية: «ولا صورةً إلا طمستُها»^(١).

ولما فتح اللهُ مكةَ على النبي ﷺ أمرَ النبي ﷺ بهدمِ الأصنامِ والأوثانِ والقبابِ المبنيةِ على القبورِ، كاللاتِ والعزى ومناة وذو الخلصة، وغير ذلك؛ فإنها كانت أوثانَ الجاهليةِ، وكان المشركون يصرفون إليها مظاهرَ العبوديةِ التي لا تجوزُ إلا لله الواحدِ القهارِ.

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).



٤- النهي عن اتخاذ القبور مساجد:

المساجد بيوتُ الله تعالى وخيرُ بقاع الأرض؛ لأنها بُنيت لإقامة العبودية الخالصة لله الواحد القهار لإقامة التوحيد بالركوع والسجود لله، وتلاوة القرآن لله، وذكر الله، وتعلم العلم وتعليمه لله، فالمسجد هو دارُ العبودية لله ودارُ العلوم الشرعية التي أنزلها الله، قال الله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: ١٨].

أي: المساجد بُنيت لعبادة الله، فلا تعبدوا مع الله أحداً، ولا تشركوا بالله شيئاً.

وقال سبحانه: {فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور: ٣٦].

ولهذا حرم الله ورسوله ﷺ دفن الأنبياء والصالحين في المساجد، ونهى عن بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، فلا يجتمع مسجد وقبر في دين الإسلام؛ لأنَّ بناء المساجد على قبور الصالحين أو دفن الصالحين داخل المساجد سيكون ذريعة



ومدعاة للغلو في هؤلاء الصالحين ببناء المقامات والأضرحة والمشاهد على قبورهم، وكسوتها بالستور كالكعبة، وتزيينها بأنواع الزينة والأنوار، وماء الذهب، ونحو ذلك، فتصير أوثاناً تعبد من دون الله، فيصرف الناس لها مظاهر العبودية من طواف وتمسح لنوال البركة - كما يطاف حول الكعبة، ويُستلم الحجر الأسود والركن اليماني - ودعاء واستغاثة ونذر وذبح وموالد وخوف ورجاء وتوكل واعتقاد النفع والضرر فيها وقصدها؛ تبركاً وخوفاً وطمعاً ونحو ذلك، فتصير المساجد معابد لهذه الأوثان وغلوًا في هؤلاء الصالحين.

فبدلاً من أن تكون المساجد دوراً للتوحيد، تصير معابد للوثنية والشرك الذي كان عليه مشركو قوم نوح وعاد وثمود، ومشركو قريش وغيرهم من العرب، ولهذا نرى في جميع المساجد التي بُنيت على قبور الصالحين بعض الناس أو كثيراً منهم بعد أن يفرغوا من الصلاة يرجعون إلى الضريح المنسوب في المسجد للطواف حوله، وسؤاله ودفع النذور والتبرك به ونحو هذا، وهذا



هو الشركُ الذي كَانَ عليه أَبُو لهبٍ وَأَبُو جهلٍ وَغَيْرُهُمْ مِنَ
المشركين.

ولما كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قد جَاءَنَا بِحِمَايَةِ جَنَابِ التَّوْحِيدِ نَهَى أَشَدَّ
النَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، بَلْ وَلَعَنَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، وَأَنَّ مَنْ
فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ شَرَارِ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ،
فَقَالَ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:
«لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»
يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا^(١).

فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا طَرَدَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ رَحْمَتِهِ؛ لِأَنَّهُمْ بَنَوْا
عَلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ غَلَوْا فِيهِمْ، وَالنَّبِيُّ ﷺ ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُمْ؛
تَحْذِيرًا لِأُمَّتِهِ مِنْ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ فَعْلِهِمْ، فَيَلْعَنَهَا اللَّهُ كَمَا لَعَنَهُمْ،
وَحَتَّى لَا يُعَالَى فِي قَبْرِهِ؛ سَدًّا لِكُلِّ ذَرِيعَةٍ تُفْضِي إِلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).



يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ
مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ»^(١).

أي: إِنَّ آخِرَ مَا حَذَّرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْهُ الْأُمَّةُ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ اتِّخَاذُ قُبُورِ
الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ مَسَاجِدَ، وَأَكَّدَ النَّبِيُّ مَرَّتَيْنِ بِقَوْلِهِ: «أَلَا فَلَا
تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ» وَبِقَوْلِهِ: «إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ» مِمَّا يَدُلُّ
عَلَى شِدَّةِ خَطَرِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ عَلَى أُمَّتِهِ؛ إِذْ إِنَّهُ ذَرِيعَةٌ عَظِيمَةٌ
لِلشِّرْكِ وَمُظَاهَرَةٌ.

وَلَمَّا أَهْمَلَتِ الْأُمَّةُ هَذَا النَّهْيَ وَالتَّحْذِيرَ وَبَنَتِ الْمَسَاجِدَ عَلَى
قُبُورِ الصَّالِحِينَ دَبَّ الشِّرْكُ فِيهَا وَانْتَشَرَ، وَسَرَى سَرِيانَ النَّارِ فِي
الْهَشِيمِ، حَتَّى صَارَ الْكَثِيرُونَ عِبَادًا لِهَذِهِ الْقُبُورِ بِشَدِّ الرِّحَالِ إِلَيْهَا،
وَإِقَامَةِ الْمَوَالِدِ الَّتِي هِيَ أَعْيَادُ الْجَاهِلِيَّةِ عِنْدَهَا وَحَوْلَهَا، يَنَادُونَهَا مِنْ
دُونِ اللَّهِ بِالْمَدَدِ، وَالْبَرَكَةِ، وَفَكِّ الْكَرْبِ، وَتَفْرِيجِ الْهَمِّ وَقَضَاءِ الدِّينِ
وَالرِّزْقِ بِالْوَلَدِ وَالْمَالِ، وَالشِّفَاءِ مِنَ الْمَرَضِ وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهَا بِأَنْوَاعِ

^(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٥٣٢).



القُرْبَ بالذَّبائِحِ والنَّذورِ والأطعمةِ والأشربةِ وغيرِ ذلكَ من أنواعِ العباداتِ التي لا تجوزُ إلا لله الواحدِ القَهَّارِ.

روى البخاريُّ معلقًا بصيغةِ الجزمِ، وأحمدُ موصولًا في الحديثِ الحسنِ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ، قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إِنَّ مِنْ شَرِّارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»^(١).

يَبينُ النبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ مدى خطورةِ ومضرةِ اتِّخاذِ القبورِ مساجدَ، وأنَّ مَنْ فعلَ ذلكَ فهو من شرارِ الناسِ عندَ اللهِ وعندَ رسوله ﷺ.

روى الشيخانِ عن عائشةَ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سلمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً - رأينها بالحِشَّةِ فيها تصاويرُ - لرسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّروا فِيهِ تِلْكَمُ الصُّوَرِ، أَوْلَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ

^(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٧) وأحمد (٣٨٤٤)، وابن خزيمة (٧٨٩)، وابن حبان (٦٨٤٧).



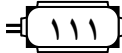
الْقِيَامَةِ». وفي رواية: أَنَّهُمْ تَذَاكُرُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَرْضَاهُ، فَذَكَرْتُ أُمَّ سَلَمَةَ وَأُمَّ حَبِيبَةَ كَنِيسَةً... وَذَكَرَ نَحْوَهُ^(١).

٥- النهي عن كلِّ مظاهرِ الشركِ الأصغر؛ لَأَنَّهَا ذَرِيعَةٌ لِلشَّرِكِ الْأَكْبَرِ وَوَسِيلَةٌ لِلْوُقُوعِ فِيهِ، فنهى عن الحلفِ بغيرِ الله، لأنَّه تعظيمٌ للمحلفِ به بما لا يكونُ إلا اللهُ وحده، وهو شركٌ أصغرٌ في الأصل؛ لكن قد يصلُّ إلى الشركِ الأكبرِ حسبَ اعتقادِ الحالفِ فيمَن يحلفُ به، فقد رأينا مَنْ يستهينُ بالحلفِ باللهِ كذبًا وزورًا، فإذا قيلَ له: احلفْ بالوليِّ الفلانيِّ خافَ وارتجفَ مِنْ انتقامِ الوليِّ منه، وإيقاعِ العقوبةِ به، ففي هذه الحالةِ تحوَّلَ الحلفُ بغيرِ الله من شركٍ أصغرٍ إلى شركٍ أكبرٍ؛ لما فيه من الخوفِ والرجاءِ والتعظيمِ لغيرِ الله تعالى، فكانَ الشركُ الأصغرُ هنا ذريعةً للشركِ الأكبرِ.

وهكذا يصيرُ الشركُ الأصغرُ شركًا أكبرَ بحسبِ قائلِهِ ومقصِدِهِ وما يقومُ بقلْبِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨).





حماية النبي المصطفى لجَنابِ التوحيد

وهكذا في بقيةِ صُورِ الشُّركِ الأصغرِ؛ بل هناكِ معاصٍ لم يُسمَّها
الشرُّ شركاً قد تودِّي إلى الشُّركِ الأكبرِ، كبناءِ القبابِ والأضرحةِ
والمشاهدِ على القبورِ وبناءِ المساجدِ على القبورِ، فهي ذنوبٌ لم
يُسمَّها الشرُّ شركاً؛ لكنَّها ذريعةٌ للشُّركِ الأكبرِ، نهانا النبي ﷺ عن
هذا وذاك حمايةً لجَنابِ التوحيدِ.

وصلِّ اللهمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم!

آمين آمين!



فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٣	مقدمة
٧	المبحث الأول: دعوة النبي محمد إلى التوحيد
١٧	من فضائل التوحيد
١٧	التوحيد يُخرجُ المُوحِّدينَ المُذنبينَ منَ النارِ، ولا يُخلِّدُهم فيها
١٨	التوحيدُ منَ أعظمِ أسبابِ إجابةِ الدعاء
١٩	التوحيدُ يضاعِفُ الأجورَ ويجعلُ العملَ اليسيرَ عندَ الله عظيمًا
٢٠	حبُّ التوحيدِ وأدلتِه يُدخِلُ العبدَ الجنةَ
٢١	التوحيدُ بُشِّرَى لأصحابِه في الدنيا بالجنةِ والنجاةِ منَ النارِ
٢٣	التوحيدُ يكفي العبدَ همَّ الرزقِ ويغني قلبه بالقناعة والرضا
٢٣	التوحيدُ أمانٌ منَ الضَّلالِ والهلاكِ
٢٤	التوحيدُ يحقِّقُ الدِّماءَ، ويصونُ الأنفُسَ والأموالَ
٢٤	التوحيدُ يزنُ الذنوبَ والخطايا ويرجعُ بها ويرفعُ صاحبَه



٢٥

التوحيدُ أعظمُ أسبابِ تكفيرِ الذنوبِ والسيئاتِ

٢٦

التوحيدُ يوجبُ شفاعَةَ النبي ﷺ لِأَهْلِهِ

٢٧

التوحيدُ وقايةٌ لصاحبه من النفاقِ

٢٨

التوحيدُ يُنَجِّي صاحبه مِنَ النَّارِ إِمَّا ابْتِدَاءً، وَإِمَّا بَعْدَ
الْخُلُودِ فِيهَا لَوْ دَخَلَهَا بِذُنُوبِهِ

٢٩

التوحيدُ يُكْفِرُ الْغَدَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ

٣١

التوحيدُ يُطَيِّحُ بِالْخَطَايَا

٣١

التوحيدُ سببُ الغفرانِ

٣٢

التوحيدُ هو الغايةُ من خَلْقِ الْخَلْقِ

٣٢

التوحيدُ هو حقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ

٣٣

التوحيدُ هو الغايةُ من إرسالِ الرسلِ وإنزالِ الكتبِ

٣٣

التوحيدُ أولُ ما يجبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ

٣٣

التوحيدُ هو أولُ ما يُدْعَى إِلَيْهِ، وَيَجِبُ عَلَى الْعَالَمِ أَنْ
يَعْلَمَهُ

٣٤

التوحيدُ شرطُ قبولِ الأَعْمَالِ ودخولِ الْجَنَاتِ

٣٦

التوحيدُ سببُ الشفاعةِ فِي الْقِيَامَةِ

٣٨

شروط كلمة التوحيد



- ٤١ المبحث الثاني: النهي عن كل ما ينقض التوحيد
- ٤٢ أولاً: التحذير من الشرك وضرره وبيان أنواعه ومظاهره
- ٦١ من مظاهر الشرك الأصغر
- ٧٦ ثانياً: التحذير من الكفر وضرره وبيان أنواعه ومظاهره
- ٧٧ من مظاهر الكفر
- ٨٢ ثالثاً: التحذير من النفاق وضرره وبيان أنواعه ومظاهره
- ٨٧ رابعاً: التحذير من الردّة
- ٨٨ من مظاهر الردّة
- ٩٠ المبحث الثالث: نهى النبي ﷺ أمته عن الغلو في شخصه الكريم حيّاً وميتاً
- ٩٩ المبحث الرابع: سدّ كل ذريعة تؤدّي إلى الشرك بالله تعالى
- ١٠٠ النهي عن الغلو في الصالحين
- ١٠٢ النهي عن البناء على القبور والكتابة عليها وتزيينها
- ١٠٤ الأمر بهدم القبور المشرفة عن الأرض؛ لِئَلَّا تُتَّخَذَ أَوْثَانًا تُصَرَفُ لها مظاهر العبودية من دون الله
- ١٠٥ النهي عن اتخاذ القبور مساجد





حماية النبي المصطفى لجَناب التوحيد
النهْيُ عن كلِّ مظاهرِ الشركِ الأصغرِ؛ لأنَّها ذريعةٌ للشركِ
الأكبرِ ووسيلةٌ للوقوعِ فيه

